أبيدوس (Abydos)

جامعة سوهاج | العدد الثالث (٢٠٢١م)، ص ص: ٧٧ - ١١٨ | كلية الآثار

محمل الحج الدارفوري "دراسة تاريخية آثارية"

The Darfuri Hajj Mahal, "A historical and archaeological study"

د. أسماء محمد إسماعيل

أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية كلية الآثار- جامعة الفيوم

Dr. Asmaa M. Ismail

Professor of Archeology and Islamic Architecture, Faculty of Archeology, Fayoum University

ami00@fayoum.edu.eg

الملخص:

يُعد إقليم دارفور من الأقاليم التي ذاع صيتها في أفريقيا بعد دخول الإسلام إليها، وحكم الإقليم عدة دول إسلامية كان أهمها وآخرها سلطنة الفور الإسلامية، التي اشتهرت باهتمامها بنشر الدين الإسلامي، وترسيخ تعاليمه وفرائضه التي كان منها فريضة الحج؛ فأولوا الحرمين الشريفين اهتمامًا كبيرًا؛ تمثل في تسيير مواكب للحج كان يصحبها صرة الحرمين الشريفين كهدية من سلطنة الفور للأراضي المقدسة في الحجاز، وتُعد هذ لدراسة من الدراسات المهمة لما توضحه من طبيعة وحدود العطاءات المرسلة من إقليم دارفور إلى الحجاز، وتهدف الدراسة إلى تفنيد ماذكر في بعض الكتب، وما يثار عن ريادة سلطنة الفور، وكسوتها للكعبة في فترات حكم سلاطينها؛ وتأكيد ذلك بمكاتبات رسمية. وخلصت الدراسة على اقتصار هدايا وعطاءات سلاطين الفور إلى الحرمين الشريفين على صرة الحرمين فقط، وأن كسوة الكعبة لم تكن ضمن مشتملات المحامل الدارفورية.

الكلمات المفتاحية: كسوة، محمل، دارفور، صرة الحرمين، علي دينار.

Abstract

The Darfur " Dārfūr" region is one of the regions that became famous in Africa after the entry of Islam to it, The region was ruled by several Islamic countries, the most important and recent of which was the Islamic Fūr Sultanate, which was famous for its interest in spreading the Islamic religion and consolidating its teachings and duties, including the obligation of Hajj; Pay great attention to the Two Holy Mosques; It was represented in conducting Hajj processions that were accompanied by the bundle of the Two Holy Mosques as a gift from the Fūr Sultanate to the Holy Land in the Hijaz. This study is considered one of the important studies because it shows the nature and limits of the bids

sent from the Darfur region to the Hijaz, and it aims to refute what is mentioned in some books, and what is circulated about the leadership of the Fur Sultanate and its covering of the Kaaba "Al-Ka'bah" during the reign of its sultans; This is confirmed by official correspondence. The Study concluded that the gifts which sent by the Fūr sultans to the Two Holy Mosques were limited to ṣurrah Al-Ḥaramaynm, and The covering of the Ka'bah was not Among the Darfurian Maḥmal.

Key-words: Attire, Maḥmal, Darfur, ṣurrah Al-Ḥaramayn, Ali Dinar.

أهمية الدراسة:

تُعد هذه الدراسة من الدراسات المهمة لأنها تطرقت إلى موضوع غفلت عنه جُل الدراسات التاريخية؛ وهو دور إقليم دارفور في خدمة الحرمين الشريفين، وتسيير سلاطين الفور لمحامل الحج للأراضي المقدسة.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى:

١- إظهار تأثير البعد الديني على العلاقات بين سلاطين الفور وحكام الحجاز.

٢- إبراز دور سلطنة الفور في الإهتمام بالحرمين الشريفين.

٣- تفنيد الأراء والأقاويل الشائعة عن كسوة سلاطين الفور للكعبة، وأيضًا نسبة آبار علي بالميقات للسلطان علي دينار.

٤- نشر خطابات، ومكاتبات رسمية للسلطان علي دينار خاصة بمحامل الحج في عهده تنشر لأول مرة.

إشكالية الدراسة:

١- إلى أي مدى اهتم سلاطين دارفور بالأراضي المقدسة أو الحرمين الشريفين بالحجاز.

٢- تحديد ماهية مشتملات محمل الحج الدارفوري التي تخص الحرمين الشريفين.

حدود الدراسة:

للدراسة حد مكاني امتد من دارفور غرب السودان حتى بلاد الحجاز، وحد زماني اقتصر على فترة سلاطين الفور؛ والتي امتدت من عام ٨٠٣- ١٣٣٥هـ/ ١٤٠٠-١٩١٦م

منهجية الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي التفسيري

مباحث الدراسة:

١. مقدمة عن إقليم دارفور جغرافيًا وتاريخيًا.

٢. المحمل والكسوة

٣. محمل الحج الدرفوري

١- مقدمة عن إقليم دارفور جغرافيًا وتاريخيًا.

يعد إقليم دارفور من أكبر أقاليم السودان مساحة، وانتشر الإسلام فيه متزامنًا مع انتشاره في بلدان غرب ووسط إفريقيا منذ القرن ٦هـ/١١م، وتحول بعدها إلى سلطنة إسلامية مستقلة، مثلت منذ ذلك الوقت حلقة في سلسلة الممالك الإسلامية السودانية الواقعة بين صحراء إفريقية الكبرى. ويعتبر الإقليم ملتقى للعديد من الأجناس والأعراق المختلفة يمكن تقسيمها إلى مجموعتين رئيسيتين زنوج أفارقة وقبائل عربية[١]؛ فالزنوج هم السكان الأصليين، أما العرب فقد هاجروا إليها من مصر، وتونس، والحجاز، وملأوا مدنها وبواديها[٢].

وتؤكد الدراسات التاريخية أن مصر كانت بوابة أساسية لهجرة القبائل العربية إلى دارفور، فكثير منها هاجرت من صعيد مصر، أهمها قبائل: البقارة، والرُزيقات، والتعايشة، والبديرية، وبني عامر، وبني جرار[٣]، وسكن معظم المنحدرين من مصر في حي بمدينة الفاشر عُرِفَ بحي الريف. أما عن لغة التخاطب في دارفور فيستخدمون لغات محلية تصل لأكثر من مائة لغة، أهمها لغة الفور التي ظلت حتى عهد السلطان على دينار، إلى جانب اللغة العربية التي كانت لغة القضاء والمراسلات[٤].

وكان الإقليم ملتقى أربعة طرق رئيسية (شكل ١)؛ فطريق الشمال كان يتجه نحو تونس وشمال إفريقيا عبر الصحراء، والطريق الثاني هو" درب الأربعين" (شكل ٢) المتجه من الفاشر إلى أسيوط بمصر، وكان هذا الطريق هو الأهم بين كل الطرق التجارية؛ لأنه كان يصل دارفور بمصر والشام والحجاز، ويُعد فرعه المتجه نحو سنار شرقًا هو الطريق الثالث، ويمر عبر قندار إلى القرن الإفريقي، والحجاز، والهند عبر باب المندب، ولهذا الطريق فرع يتجه من سنار عبر البطانة إلى البحر الأحمر لبلاد الحجاز عبر جدة، وأما الطريق الرابع فكان يتجه نحو سلطنات السودان الغربي[٥]، وبالتالي كان الإقليم معبرًا لتجارة دول غرب ووسط إفريقية، وممرًا للحجيج المتجه نحو الحجاز عبر طريق سنار والبحر الأحمر[٦]، ولم تكن سلطنة الفور في منأى أو معزل عن العالم الخارجي؛ بل ارتبط سلاطينها بعلاقات خارجية متعددة مع قادة وحكام دول ذات ثقل إقليمي وعالمي مثل: نابليون بونابرت، والأسرة العلوية في مصر[٧]، وفكتوريا ملكة بريطانيا، والدولة العثمانية[٨].

١- **عبد الفتاح (عصام):** دارفور وجع في قلب الأمة، ط٢، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٢١.
٢- **التونسي (محمد بن عمر (ت١٢٧٤ هـ)):** تشحيذ الأذهان بسيرة العرب والسودان، تحقيق خليل عساكر، ومصطفى مسعد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٣٦٩.
٣- **البحيري (زكي):** مشكلة دارفور أصول الأزمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٠م ص ص، ٣٤-٤٠.
٤- **عثمان (الأمين محمود):** سلطنة الفور الإسلامية دراسة تحليلية ١٤٠٠-١٩١٦م، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، ٢٠١١م، ص ١٦٠؛ **عبدالله (جبريل):** من تاريخ مدينة الفاشر، ط١، الخرطوم، ٢٠١٣م، ص٣١٠.
٥- **عثمان:** سلطنة الفور الإسلامية، ص ص ١٦٠-١٦١.
٦- **عبدالله:** من تاريخ مدينة الفاشر، ص ١٤ .
٧- **التونسي:** تشحيذ الأذهان بسيرة العرب والسودان، ص ص ٣٨٢-٣٨٣، ٣٩٣.
٨- **عثمان:** سلطنة الفور الإسلامية، ص١٩٥.

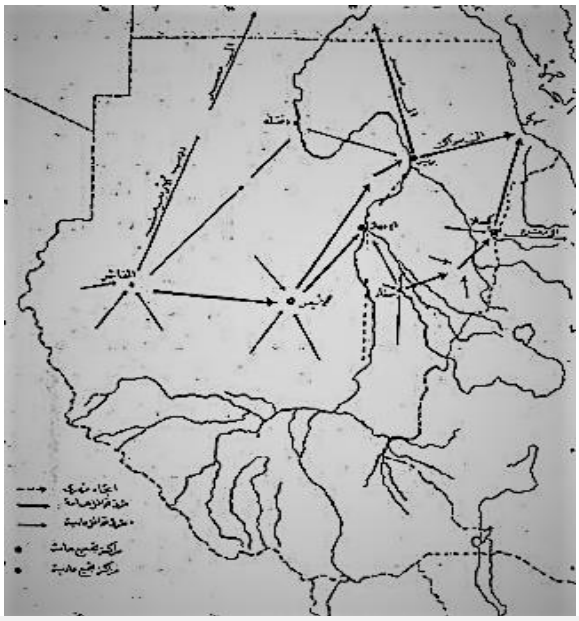

(شكل ١): مسار الطرق التجارية من دارفور؛ **الشامي(صلاح):** موانى السودان دراسة فى الجغرافية التاريخية، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦١م، شكل ٦.

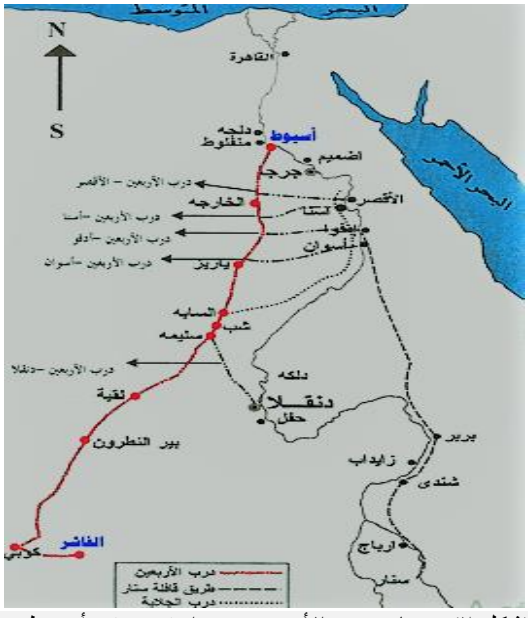

(شكل ٢): مسار درب الأربعين من دارفور حتى أسيوط؛ عن: **عبدالرحمن (أبوالبشر):**العلاقات التجارية والعالم الخارجي، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، ٢٠١٦م، ص ١٠٧. بتصرف من الباحثة.

كما حرص سلاطين الفور على إقامة علاقات وطيدة مع حكام الأراضي المقدسة، وخاصة بلاد الحجاز، لأنها مقترنة بأحد أركان الدين الإسلامي، فقد شعرت بعض الدول التي حكمت أجزاء من العالم الإسلامي بواجباتها تجاه الحرمين الشريفين؛ فسَيَّرَت المحامل[١] التي تحمل الهدايا والعطايا.

وبُناءًا على ماورد في التاريخ القويم للمكي؛ فقد اعتادت أربعة أقاليم إرسال محامل للحجاز وهي: العراق[٢]، ومصر، والشام، واليمن، وهناك محمل خامس هو المحمل الرومي[٣]، وفي بعض السنين حج الحلبيون بمحمل، وحج الكركيون بمحمل[٤]، ويذكر صاحب كتاب الدرر الفرائد أن المحمل العراقي انقطع، وانقطع المحمل اليمني فترة من الزمن ثم عاد، وفي زمنه (القرن العاشر الهجري) يوجد ثلاثة محامل؛ وهي المحمل المصري[٥] الذي تصحبه الكسوة، وتعلقات آل الحرمين وصدقاتها، ولذلك كان أميره مقدمًا في الرتبة والمنزلة، والمحمل الثاني هو المحمل الشامي، والمحمل الثالث هو المحمل اليمني[٦].

---

[١] **المحامل**؛ مفردها محمل، وهو عبارة عن هيكل خشبي مخروطي الشكل، ومجوف، يتشكل من عوارض أفقية ورأسية ومائلة، ويكسو الجزء المخروطي ستر من الحرير الأصفر المشغول والمزركش، ويعلو الشكل المخروطي قائم خشبي مركب عليه مخروط من النحاس، ويحيط بالهودج أربعة قوائم خشبية، مركب عليها أربعة قوائم مخروطية من النحاس، يعلو كل منها هلالا بداخله نجمة، ويوضع أثناء السفر على ظهر الجمل؛ **عبدالحميد(ليلى أمين):** المحمل عبرالعصور التاريخية ٩-٩٢٣هـ/٦٣٠-١٥١٧م، مجلة كلية اللغات والترجمة، العدد السابع، ج٢، يوليو ٢٠١٤م، ص ١٥٦.

[٢] إن أول من أحدث المحامل في طريق مكة هو الحجاج بن يوسف الثقفي؛ **المكي (محمد طاهر الكردي):** التاريخ القويم لمكة وبيت الله القويم، تحقيق عبدالله بن دهيس، ج٥، ط١، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٩٣.

[٣] **المحمل الرومي**: أطلق على المحمل الذي كانت ترسله الدولة العثمانية منذ بسط نفوذها على الحجاز عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م؛ تقليدًا لأهل مصر والشام؛ **السباعي(أحمد):** تاريخ مكة دراسة في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، ج ١، مكة المكرمة، ١٩٩٩م، ص ٥٢٩.

[٤] **المكي:** التاريخ القويم لمكة، ج٥، ص ص١٩٤-١٩٨.

[٥] يذكر أن شجر الدر هي أول من أرسلت المحمل إلى بلاد الحجاز في الديار المصرية وكان هودجًا لها حين حجت عند عام ٦٤٨هـ/١٢٥١م؛ **المكي:** التاريخ القويم لمكة، ج٥، ص ١٩٦.

[٦] **الأنصاري(عبدالقادربن محمد(ت ٩٧٧هـ)):** الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق محمد حسن، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٢٥٠.

٢. المحمل والكسوة:

وهنا لابد وأن نفرق بين المحمل وبين الكسوة[١]؛ فالمحمل: كان عبارة عن بعثة رسمية من الدولة صاحبة السيادة على أرض الحرمين الشريفين، وكان المحمل يحمل إضافة إلى الكسوة والصدقات والهدايا[٢] رواتب موظفي الحرم الشريف وزعماء القبائل الذين كانوا يستميلونهم بتلك العطايا تفاديًا لغاراتهم على قوافل الحج، والمعونات لسكان الحرمين الشريفين[٣]. فالكسوة جزء من المحمل؛ وليس كل محمل حاوٍ للكسوة. وهي حق أصيل للدولة صاحبة السيادة على الحرمين الشريفين.

وهنا يجب الإشارة لعدة أمور مرتبطة بالكسوة مثل: أنواعها، وأسماء الشخصيات التي كست الكعبة من غير الدول صاحبة السيادة على الحرمين الشريفين، والمواد التي صنعت منها الكسوة، والأماكن التي جُلبت منها؛ لكون ذلك أحد الأدلة التي سوف تستند عليه الدراسة في تفنيد أقوال شِيعت حول كسوة الكعبة من شخصيات لم تكسوها، وأماكن لم تصنع بها.

للكعبة المشرفة كسوتين[٤]: إحداهما خارجية والأخرى داخلية، والكسوة الخارجية كانت تُغير سنويًا، اللهم إلا نادرًا إذا ما وقعت فتن أو حروب، وفي بعض الأحيان كانت تُكسا الكعبة أكثر من مرة في السنة. أما الكسوة الداخلية فكانت تستبدل على فترات زمنية متباعدة، إما بعد أن تبلى أو عند تولية أمير أو ملك عرش بلاده؛ فكان يرسل كسوة داخلية للكعبة.

الكسوة الخارجية: أطنب بعض كتاب السير والمؤرخون في وصف الكعبة، وكسوتها، وإن كانوا اختلفوا في تحديد أول من كساها مطلقًا، وأول من كساها بالديباج؛ فإنه الروايات تدل على اهتمام الناس على اختلاف طبقاتهم بكسوتها[٥]، لكن كانت كسوة الرسولﷺ للكعبة المشرفة بعد فتح مكة المكرمة إيذانًا بتولي أولي الأمر كسوتها[٦]؛ فكساها سيدنا أبو بكرﷺ، ولما كساها سيدنا عمر بن الخطابﷺ كساها بالقباطي المصرية من بيت مال المسلمين، ومنذ ذلك الوقت صارت نفقات الكسوة

---

[١] **الكِسْوَةُ والكُسْوة:** بكسر الكاف وضمها: اللباس، واحدة الكُسَا، يقال: كسوتُ فلانًا أكسوه كِسوةً إذا ألبستَه ثوبًا أو ثيابًا فاكتسى، واكتسى فلان إذا لبس الكُسْوة، ويقال: اكتَسَتِ الأرض بالنبات إذا تغطت به، والكُسَا: جمع الكِسْوة. وكَسَى فلان يكسي إذا اكتسى ، وقيل: كَسِيَ إذا لبس الكِسْوَة، واكتستِ الأرض: تَمَّ نَبَاتُها والتف حتى كأنها لَبِسَتْه، **ابن منظور:** لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرون، طبعة دار المعارف، القاهرة،١٩٨١م، ص ٣٨٧٩ .

[٢] **عبدالحميد:** المحمل عبرالعصور التاريخية، ص ١٦١.

[٣] **مؤذن(عبدالعزيز عبدالرحمن):** كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا الحضارية، كلية الشريعة والدراسات العليا، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٢م، ص٢١٠.

[٤] **رفعت(إبراهيم ت ١٩٣٥م):** مرآة الحرمين في الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، ج١، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٥م، ص ص٢٩١-٢٩٢؛ **باسلامة(حسين عبدالله(١٣٥٩هـ)):** تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها، ط١، السعودية، ١٤٥٤هـ، ص٢٦٤- ٢٦٦.

[٥] **عبدربه (عبدالقيوم):** كسوة الكعبة المشرفة، مكة الكرمة، ٢٠٠٧، ص ص ٢٣- ٣٣.

[٦] وأكد ذلك قول السيدة عائشة لما سألتها أم علقمة أنكسو الكعبة؟ فقالت: الأمراء يكفونكم ولكن طهرنه أنتن بالطيب؛ **عبدربه:** كسوة الكعبة المشرفة، ص٤٧.

على الدولة- إلا في مرات قليلة كساها فيها بعض المترفين أو حكام بعض الدول الإسلامية[١]-، وكذلك فعل سيدنا عثمان بن عفان ﷺ، وكساها بنو أمية، كما اهتم خلفاء الدولة العباسية بأمر الكسوة، وقد اختاروا مدينة تنيس المصرية لتصنع بها لما اشتهرت به من صناعة النسيج الفاخر. كما كساها بعض خلفاء الدولة الفاطمية[٢].

وأثر ضعف الدولة العباسية والفاطمية في القرن الرابع والخامس الهجريين على كسوة الكعبة؛ فلم تُكسى من قبل الدولة في بعض السنوات، وكساها آخرون مثل: أبو الحسن الصليحي حاكم اليمن والحجاز، فقد كساها في محرم ٤٥٥ هـ /يناير١٠٦٣م. وكساها أبو النصر الإسترلابي بكسوة صنعت في الهند، وكذلك فعل الوزير السلجوقي نظام الملك عندما ظفر بكسوة كان قد صنعها السلطان محمود الغزنوي للكعبة فأرسلها لمكة؛ فكسيت بها في عام ٤٦٦هـ/ ١٠٦٤م[٣]، وكساها رجل من التجار يقال له "راشت" وهو رامشت أبو القاسم الفارسي عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م بثمانية عشر عشر ألف دينار، لأنها لم تأتها كسوة في هذا العام لأجل اختلاف الملوك، ثم كساها شيخ الحرم المكي منصور بن منعة البغدادي التي كانت سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٧م[٤]، بعدما رفض عرض المنصور ملك اليمن بكسوتها بعدما مُزقت كسوتها بسبب الرياح الشديدة التي هبت عليها، وقال إنما يكون ذلك من الديوان، وهو يعني الخليفة العباسي[٥]، وكساها ملك اليمن المظفر يوسف بن منصور الكعبة بعد مقتل الخليفة المعتصم عام ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م[٦]، كما ذكر العُمري: أن صاحب اليمن كان يرسل كسوة للكعبة (في عصره)، ولكن تُكسى بها الكعبة تحت الكسوة المصرية[٧].

ورأى المماليك في مصر أن إرسال الكسوة إلى الكعبة شرف لا ينازعهم فيه أحد وكان أول من كسى الكعبة من المماليك السلطان الظاهر بيبرس البندقداري ٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م،

---

[١] **عبدريه:** كسوة الكعبة المشرفة، ص٤٦.

[٢] للمزيد راجع: **الأزرقي(أبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد)**: أخبار مكة وما جاء بها فيها من آثار، تحقيق: رشدي صالح، ج١، ط٣، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣م، ص ص ٢٥٢ - ٢٥٧؛ **العسقلاني (أحمد بن حجر):** اللمحة اللطيفة في ذكر أحوال كسوة الكعبة الشريفة، تحقيق محمد على فهيم، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ص١٠٦-١١٨؛ **أحمد (يوسف):** المحمل والحج، ج١، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣٧م، ص ص ٢٣٥ - ٢٤٣؛ **باسلامة،** تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها، ص ص ٢٤٩- ٢٦٠.

[٣] **الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد الحسني(ت٨٣٢هـ)):** العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج١، تحقيق محمود حامد الفقي، ط١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦م، ص ص ٥٧-٥٨.

[٤] **باسلامة:** تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها، ص ص ٢٨٥- ٢٨٦ ؛ **أحمد:** المحمل والحج، ص ص ٢٤٢-٢٤٣؛ **عبدريه:** كسوة الكعبة المشرفة، ص ص٥٦-٥٧.

[٥] **باسلامة:** تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها، ص٢٦٠.

[٦] **المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي(ت ٨٤٥هـ)):** الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٨٤؛ **حلمي (إبراهيم):** كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج، سلسلة كتاب اليوم، العدد ٣٢٠، مطابع أخبار اليوم، القاهرة،١٩٩١م، ص ٢٧.

[٧] **العُمري(أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فضل الله بن يحيى بن أحمد (ت ٧٤٩هـ)):** مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج١، تحقيق كامل سلمان الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٢٠م، ص ص ١٨٣.

عام٦٦١هـ/١٢٦٢م[١]، وهو أول من أمر بدوران المحمل بالكسوة في القاهرة [٢]واستمر هذا الوضع قائمًا حتى العصر العثماني وأسرة محمد علي؛ رغم انتقال سيادة الحرمين الشريفين للدولة العمثانية؛ إلا أن الكسوة كانت ترسل من مصر، ومنذ عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م توقف إرسال كسوة الكعبة من مصر عدة مرات سوف يأتي ذكرها في حينه، ولكنها توقفت نهائيًا ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م بعد الخلاف الذي وقع بين مصر والسعودية.

وهذا يعني أن محمل الحج المصري منذ العصر المملوكي كان رمزًا لسيادة مصر على الحجاز، وأن الكسوة كانت مرتبطة بالمحمل المصري **(فليس كل محمل حاوٍ للكسوة)**، وهو ما أكده العُمري بذكره **"تكسى من الخزانة السلطانية بالديار المصرية، صحبة الركب"**[٣]. وكذلك ما ذكره الشيخ المحدث عبدالقيوم عبدربه **"من المعروف أن الكسوة الشريفة كانت تأتي من مصر بمعية المحمل المصري"**[٤]، وكانت كسوة الكعبة حق أصيل للدولة صاحبة السيادة على الحرمين الشريفين.

أما الكسوة الداخلية: اختلف الأمر بالنسبة لكسوة الكعبة الداخلية؛ فهي محفوظة داخل الكعبة، ولا تتعرض للمطر أو الشمس، وبعيدة عن الغبار والتراب؛ لذلك لاتبلى إلاّ بعد زمن طويل، ولا تكسى الكعبة من الداخل إلاّ على فترات متباعدة جدًا، بعد أن تبلى الكسوة أو عند تولية أمير أو ملك عرش بلاده؛ فكان يرسل كسوة داخلية للكعبة.

وورد في بطون الكتب التاريخية إشارات لهذه الكسوة ومنها: ما ذكره الأرزقى عن التجديدات التي قام الخليفة العباسي المتوكل على الله للكعبة المشرفة علي يد شيخ الصناع إسحاق بن سلمه الصايغ عام٢٤١- ٢٤٢هـ/٨٥٥-٨٥٦م **" ونقض ما كان من الأصباغ المُزخرفة على السقف، وعلى الإزار الذى دون السقف فوق الفسيفساء ثم ألبسها ثياب قباطي أخرجها إليه الحجبة مما عندهم فى خزانة الكعبة وألبس تلك الثياب ذهباً رقيقاً وزخرفه بالأصباغ"**[٥]

كما كساها ملك اليمن المظفر يوسف بن منصور٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م، وظلت هذه الكسوة داخل الكعبة أكثر من مائة عام؛ حتى كساها الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون عام ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م[٦]، وقد ظلت كسوة الناصر حسن في داخل الكعبة إلى أن كساها السلطان الأشرف برسباي، ٨٢٦هـ/١٤٢٣م[٧]، واستمرت هذه الكسوة حتى عام٨٤٨هـ/١٤٤٥م فاستأذن السلطان شاه رُخ مرزا

---

[١]- **الأنصاري**: الدرر الفرائد المنظمة، ج١، ص ٢٥٠؛ **باسلامة:** تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها، ص٢٦٧.
[٢]- **المقريزي:** الذهب المسبوك، ص ١١.
[٣]- **العُمري:** مسالك الأبصار، ج١، ص ١٨٢؛ وقد شارك العُمري في إلباس الكعبة كسوتها الجديدة، وذكر أن الكسوة القديمة سوف تحمل إلى مصر لتهدى إلى الحسن المريني؛ **ابن فضل الله العمري:** مسالك الأبصار، ص ١٨٣.
[٤]- **عبدربه:** كسوة الكعبة المشرفة، ص ١٣٣.
[٥]- **الأزرقي**: أخبار مكة، ج١، ص٣٠٥.
[٦]- **المقريزي:** الذهب المسبوك، ص ص ٨٤-٨٥.
[٧]- **الفاسي:** العقد الثمين، ص ٥٩

السلطان جقمق مرزا في إرسال كسوة داخلية للكعبة، فكسيت بها مع كسوة الأشرف برسباي، وظلت الكسوتان في جوف الكعبة إلى أن أمر السلطان الظاهر جقمق بأن ينزع هاتين الكسوتين من داخل الكعبة ، وكساها بكسوة جديدة في رمضان عام ٨٥٦هـ /١٤٥٢م. واستمرت حتى عام ٨٨٣ه/ ١٤٧٩م، عندما كساها السلطان قايتباي[١]، واستمرت سلاطين مصر من بعده ترسل كسوة الكعبة الداخلية عند تجدد كل سلطان، مع الكسوة التي ترسل سنويًا وكسوة خضراء للحجرة النبوية الشريفة[٢].

ومنذ العصر العثماني اختصت الدولة العثمانية بالكسوة الداخلية، وكسوة الحجرة النبوية، وكانت آخر كسوة داخلية أرسلتها الدولة العثمانية عام١٢٢٧هـ/١٨١٢م في عهد السلطان عبدالعزيز ابن السلطان محمود الثاني[٣].

أنواع نسيج الكسوة وأماكن صناعة الكسوة: حفلت الكتب التاريخية بذكر أنواع النسيج المستخدم في الكسوة، وأماكن صناعتها. وقد ذُكر أن النبيﷺ كسا الكعبة القباطي[٤] من مصر، وهناك من ذكر أنهﷺ كساها بالثياب اليمنية، وكساها سيدنا عمر بالقباطي التي تُحاك في مصرﷺ، أما سيدنا عثمانﷺ فكساها بالقباطي والبرود اليمنية، ثم كُسيت بالديباج[٥] واختلف الروايات حول أول من كساها به؛ فهناك من ذكر معاوية بن أبي سفيان، وهناك من ذكر عبدالله بن الزبير، ورأي ثالث ذكر عبدالملك بن مروان، وآخر ذكر أنه الحجاج بن يوسف الثقفي. وذكر الأزرقي أن الكعبة لما جُردت بأمر معاوية كُسيت بكسوة من الديباج والقباطي والحبرة[٦]، وكساها يزيد بن معاوية، وعبدالله بن الزبير بالديباج الخسرواني[٧] المصنوع في خراسان، وكساهاعبدالملك بن مروان بالديباج الذي كان يرسله من الشام، كما كساها هشام ديباجًا غليظًا. وأغلب كسوة من كان قبله من متاع اليمن. وكساها بنو أمية في بعض أيامهم الحلل التي كانت على أهل (نجران) في جزيتهم والديباج من فوقها[٨].

وفضل خلفاء الدولة العباسية صناعة كسوة الكعبة في مصر لما اشتهرت به من جودة صناعة النسيج، ومن أشهر المناطق التي صنعت بها كسوة الكعبة في مصر تنيس، وتونة، وشطا، وفي بعض الأحيان كانت الكعبة تُكسى ثلاث مرات بالديباج الأحمر، والقباطي، والديباج الأبيض، بينما كساها

١- **باسلامة:** تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها، ص ص ٢٦٥-٢٦٦.

٢- **النهرواني**(محمد بن أحمد بن محمد(ت ٩٩٠)): كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق هشام عبدالعزيز عطا، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، (د.ت)، ص ص ١١٣-١١٤م.

٣- **السباعي:** تاريخ مكة، ج١، ص ٥٤٩، حاشية ١.

٤- **القباطي:** هي نسيج من الكتان الرقيق الأبيض، يُصنع في مصر؛ **إبراهيم(رجب عبدالجواد):** المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ط١، دار الأفاق العربية، القاهرة،٢٠٠٢م، ص٣٧٤.

٥- **الديباج:** تعني بالفارسية ثوب حريري، وكل ضرب من النسيج الملون يُسمى الديباج؛ **إبراهيم:** المعجم العربي لأسماء الملابس، ص ١٨٢.

٦- **الحبرة:** ضرب من برود اليمن مخطط؛ **إبراهيم:** المعجم العربي لأسماء الملابس، ص١٢٣.

٧- **الخسرواني:** كلمة فارسية معربة، منسوبة إلى الأكاسرة، ومعناها الحرير الرقيق الحسن الصنعة، والخسرواني أيضًا نسيج سادة أبيض، منه ما يُلبس، ومنه ما يصنع للتعليق والفرش؛ **إبراهيم:** المعجم العربي لأسماء الملابس، ص ١٤٩.

٨- **العسقلاني:** اللمحة اللطيفة، ص ص ١٠٦-١١٦؛ **الأزرقي:** أخبار مكة، ج١، ص ص٢٥٢-٢٦٥؛ **الكردي:** التاريخ القويم،ج٣، ص ص ٥٤٩-٥٥٢.

الخليفة المهدي بالقباطي، والخز[١]، والديباج، وفي أحيان أخرى كانت تُكسى بالديباج والقباطي، ثم كساها العباسيون بالديباج الأسود في عودة منهم لشعارهم[٢].

وفي الفترة التي كسا الفاطميون الكعبة كُسيت بالقباطي البيض[٣]، ولما دخل أبو كامل الصليحي إلى مكة وملكها عام٤٥٥هـ كسا الكعبة بثياب بيض من الحرير الصيني. وفي نفس العام كُسيت بالديباج الأصفر الذي صنعت منه كسوة السلطان محمود الغزوي، والتي أرسلها الوزير نظام الملك لمكة، ولما كساها أبو النصر الأستربادي عام محرم ٤٥٥هـ/ يناير١٠٦٣م، كساها بكسوة بيضاء صنعت في الهند، ولما كساها رامشيت عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م كساها بالحبرات، وكُسيت بالديباج الأسود في أواخر عهد أبي العباس أحمد، وبعد سقوط الدولة العباسية كساها الملك المظفر ملك اليمن بكسوة يمنية ٦٥٩هـ/١٢٦٠م[٤]، ومنذ عصر السلطان الظاهر بيبرس البندقداري، وكسوة الكعبة تُصنع في مصر حتى عام ١٩٦٢م، اللهم إلا في بعض سنوات سوف يأتي ذكرها لاحقًا.

وبذلك ووفق ما أكدته كتابات المؤرخين فإن كسوة الكعبة كانت حق أصيل للدولة ذات السيادة على الحرمين الشريفين، وكانت تُصنع أو تُجلب من الأماكن ذات الشهرة في صناعة النسيج والحرير، والتي يمكن إجمالها في اليمن وبلاد فارس، والشام، ومصر، والهند، والصين، وقد تصدرت مصر صناعة الكسوة منذ عصر الخلفاء الراشدين، وأصبحت كسوة الكعبة من ضمن مشتملات المحمل المصري منذ بداية العصر المملوكي البحري[٥]، أما باقي المحامل فكانت تحمل الهدايا، والهبات، ونلحظ من خلال ما سبق الإهتمام الذي حظيت به الكعبة المشرفة من قبل الكتاب والمؤرخون في تدوين كل ما يتعلق بأمور الحرم عامة، وكسوة الكعبة خاصة، ولم ترد في هذه المؤلفات، وخاصة المعاصرة لسلاطين الممالك الإسلامية في دارفور كسوتها للكعبة المشرفة؛ لا بكسوة صنعت في الإقليم، أو جُلبت من مكان ذات شهرة في صناعة النسيج والحرير.

---

[١] **خز:** كلمة فارسية معربة، ومهناها ضرب من ثياب الحرير، وقيل ثياب تنسج من حرير وصوف؛ **إبراهيم:** المعجم العربي لأسماء الملابس، ص١٨٤.

[٢] **أحمد:** المحمل والحج، ص ص ٢٣٧-٢٤١.

[٣] **عبدربه:** كسوة الكعبة المشرفة، ص٥٦.

[٤] **الكردي:** التاريخ القويم، ج٣، ص ص ٥٥٦-٥٥٧.

[٥] يحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بعدة تحف فنية كانت من ضمن مشتملات محامل الحج المصرية مثل: مفتاح الكعبة، ويرجع لعصر السلطان الأشرف شعبان(٧٦٥هـ/١٦٣م)، ودليل القبلة(بوصلة) (١١٥١هـ/١٧٣٨م)، وشمعدانان أمر بصنعهما السلطان قايتباي للحجرة النبوية، وثلاث قطع من الحرير كانت مخصصة لكسوة قبر النبيﷺ (قرن١٠هـ/١٦م)، والحلية النبوية الشريفة التي كانت تعلق على أستار الكعبة (قرن١٣هـ/١٩م)، كما يحتفظ متحف الحضارة بالفسطاط بجزء من آخر كسوة جهزتها مصر للكعبة، وكذلك الهودج.

٣. اهتمام سلاطين الممالك الإسلامية في دارفور بالأراضي المقدسة:

١/٣ الأوقاف:

أولى سلاطين الممالك الإسلامية في دارفور الأراضي المقدسة عناية كبيرة؛ لما لها من قدسية لدى المسلمين في كل بقاع الأرض؛ وتنوع اهتمام السلاطين مابين إيقاف الأوقاف، وحفر الآبار على طول الطرق المؤدية للحج، وتَسْيير المحامل المحملة بنفائس دارفور كهدية للأراضي المقدسة، وتأمين هذه المحامل على طول الطريق.

قد حرص سلاطين دارفور على إيقاف الأوقاف في المدينة ومكة وجدة؛ للصرف والإنفاق على الفقراء والمجاورين، وكان من ضمن المشمولين بالصرف من هذه الأوقاف طلاب العلم؛ بل خصت بعض الوثائق طلاب العلم من الفور، وكانت تدار هذه الأوقاف بواسطة نظار من الفور يقطنون في الحجاز[١]، ومن أقدم الوثائق التي عُثر عليها وثيقة ترجع لعهد أحد سلاطين مملكة التنجر[٢]؛ وهو السلطان شاو بن رفاعة مؤرخة بتاريخ ٢٤ شوال عام ٩٨٣هـ/ ١٥٧٥م -وهي نسخة عن الحجة الأصلية- وهذه الوثيقة صادرة من الباب العالي بالقاهرة، ومحفوظة في المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة[٣].

ويذكر في جزء منها **"من السلطان المعظم المبجل شاو بن السلطان رفاعة سلطان التنجر ان السلطان شاو اوقف وحبس وسبل وحرم وحلل وأبد وأكد وتصدق بما هو جار في ملكه وبيده وحوزه وتصدقه من الأماكن والنخيل والبساتين والدور الكائنة بالمدينة على مشارفها سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والتسليم على الاستمرار والدوام، على جماعة الفقراء البررة المقيمين بالمدينة المشرقة المشار إليها بالسوية بينهم لا يفضل احدهم على باقيهم ويشغل به الواحد منهم عند الإنفراد ويشترك فيها الاثنان فما فوقهما عند الاجتماع فان ماتوا ولم يوجد احد منهم فعلى الفقراء المقيمين بالمدينة المذكورة كذلك فاذا وجد البررة ولو واحد رجع اليه وقدم على غيره وهلم جرا..."**[٤].

---

[١]- **إسحق:** دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص ص ٦٣-٦٩.

[٢]- **مملكة التنجر:** إحدى الممالك الإسلامية الثلاث الذين حكموا دارفور، وبالنسبة لأصولهم فهناك من يقول أنهم عباسيون من دنقلا، وهناك من يرجعهم إلى عرب بنو هلال، ويرجح أن لهم صلة بالبديات أحد فروع قبيلة التيبو ذات الأصول الليبية، واشتهروا باسم التنجرو، أسسوا مملكتهم التي بسطت نفوذها على دارفور ووداي في تاريخ يصعب تحديده، ولكن يمكن القول أن أوج عظمتها كانت في القرنين٩-١٠هـ/١٥-١٦م وعاصروا دولة الداجو؛ **حسن(يوسف فضل):** مقدمة في تاريخ الممالك شرق السودان ١٤٥٠- ١٨٢١م، الخرطوم، ٢٠٠٣م، ص ٩٢؛ واشتهروا بالتشييد والتعمير، ومن أشهر مدنهم؛ مدينة أُورِي وعين فرح؛ للمزيد عن أعمالهم المعمارية راجع: **إسماعيل(أسماء محمد):** التراث المعماري لإقليم الفور وعاصمته التاريخية مدينة الفاشر، مؤتمر"التراث الأثري في العالم العربي: التحديات والحلول" ٤-٦ إبريل، جامعة الدول العربية، القاهرة ٢٠٢٦م، عدد خاص مجلة شدت، كلية الآثار، جامعة الفيوم، ص ص ٩٢-٩٤.

[٣]- **قمرالدين(محمد موسى محمود):** صفحات من تاريخ دارفور، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة العربية، الخرطوم، ٢٠٠٥م، ص ص ٢٧١-٢٧٢.

[٤]- **إسحق:** دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص ٦٧.

كما عثر على وثيقة أخرى صادرة من محكمة المدينة المنورة، ومؤرخة ٢٣ جمادى الأولى عام ١٣٠٨هـ/٣ يناير ١٨٩١م،[١] (لوحة ١) وهي تُشير إلى نفس الأوقاف التي نصت عليها الوثيقة السابقة الخاصة بالسلطان شاو بن رفاعة، وشب فيها نزاع بين ناظر الوقف نورين بن عمر الفواري ومستلم الحرم النبوي الشريف عبدالسلام بن عبدالله أغا(تولى نظارة الوقف بعد نورين بن عمر).

٢/٣ إرسال المحامل:

كانت دارفور تُعد مركزًا لتجمع حجاج غرب أفريقيا، ووفي بداية الأمر كانوا ينطلقون منها إلى سنار ثم مصوع وتُعتبر الأخيرة المركز الثاني، والأشهر بعد دارفور بالنسبة للحجاج الأفارقة؛ ولكن لتغير مجرى النيل الذي أصبح يمثل عائقًا أمام القوافل سلكت القوافل طريق درب الأربعين إلى مصر، ومنها إلى الأراضي المقدسة[٢]، وكان مد خطوط السكك الحديدية إلى شرق السودان في عهد الحكم الثنائي سببًا في اتخاذ المحمل الدارفوري لطريق ثالث وهو: الفاشر- الخرطوم - أم درمان – بربر- سواكن- جدة.

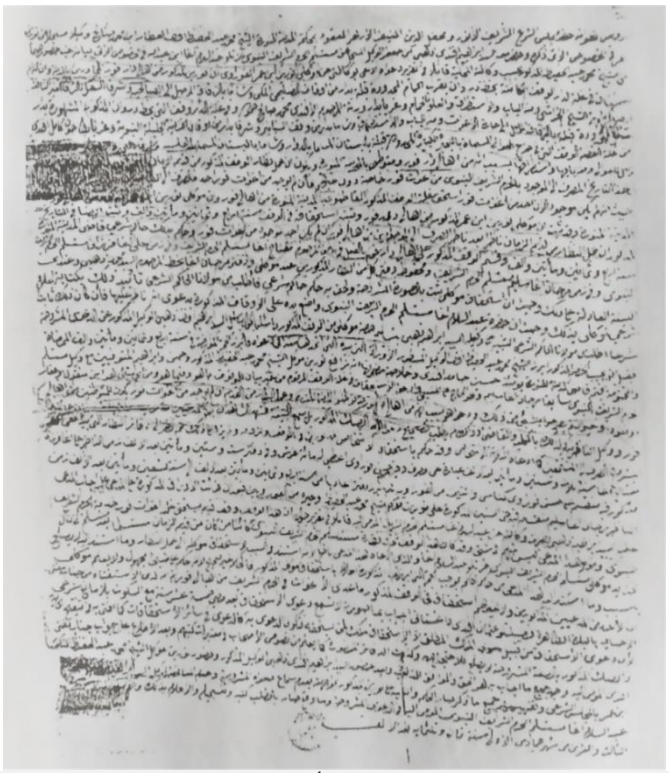

(لوحة١) وثيقة مؤرخة ٢٣ جمادى الأولى عام ١٣٠٨هـ/٣ يناير ١٨٩١م. النزاع بين ناظر الوقف نورين بن عمر الفواري، ومستلم الحرم النبوي الشريف عبدالسلام بن عبدالله أغا؛ عن **عثمان:** سلطنة الفور الإسلامية، ملحق ٣ ص ٣٢٢.

وحرصت سلطنة الفور على إرسال المحمل في موسم الحج للأراضي المقدسة، حتى كان الجزء الأكبر من إيرادات بيت المال ترسل مع المحمل المتجه للحرمين الشريفين[٣]، ووردت إشارات في بعض الكتب التاريخية تؤكد ذلك ومنها ما ذكره التونسي **"كانت سلطنة الفور مستقلة عن دول الأرض كلها لاتدفع جزية لأحد، ماعدا الحرمين الشريفين فإنها كانت تخدمها، بمحمل وصرة كل سنة"**[٤]؛ فسُيِّرَتِ المحامل بما

[١]- للمزيد عن الوثيقة راجع: **عثمان:** سلطنة الفور الإسلامية، ملحق ٣، ص ٣٢٢.
[٢]- **إسحق** (إبراهيم محمد): دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ط ٢، اصدارات المركز العالمي للدراسات الأفريقية، اصدارة رقم(١) الخرطوم، ٢٠٠٦م، ص ٤٤.
[٣]- **إسحق:** دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص ص ٢٣، ٤٨.
[٤]- **التونسي:** تشحيذ الأذهان بسيرة العرب والسودان، ص ٤٠٦.

تحمله من هدايا وعطاءات مرافقة للحجيج. وكانت العادة في دارفور أن ينبه الدعاة على الناس بالتبرع لصرة الحرمين الشريفين؛ فيجتمع الناس عند السلطان ويقدمون له الهدايا من: المعادن النفيسة مثل الذهب والعاج، وسن الفيل، والصمغ، والذرة، وريش النعام، وكان الناس يهللون ويكبرون حول القافلة، وهم يجهزون الهدايا قبل الرحيل، ويستمرون في ذلك طول طريق الرحلة. وعند وصول موكب المحمل إلى مصر يتم بيع الهدايا، وتُجمع أثمانها في الصرة[١]، وتواصل قافلة المحمل سيرها مع قافلة المحمل المصري[٢]، ومن أمثلة السلاطين الذين سَيَّرَوا محامل الحج ما يلي:

١/٢/٣ السلطان عبدالرحمن الرشيد[٣] ١٧٨٧-١٨٠٢م:

اهتم السلطان عبدالرحمن الرشيد بأمر المحمل الشريف بعد تأسيسه مدينة الفاشر عام ١٢٠٥هـ/١٧٩٢م، فكانت الرحلات إلى الحجاز تُسَير كل عام لأداء فريضة الحج في القافلة محملة بخيرات دارفور من الهدايا[٤]. وتدل المكاتبات الرسمية للسلطان عبدالرحمن الرشيد على تلقيبه نفسه بعدة ألقاب كان منها **"خادم الحرمين الشريفين"**، وقد ورد ذلك في وثيقة إقطاع من السلطان عبدالرحمن الرشيد لوالد المؤرخ محمد بن عمر التونسي[٥].

من حضرة السلطان الأعظم، والملاذ الأفخم، سلطان العرب والعجم، وكمال رقاب الأمم، سلطان البرين والبحرين، وخادم الحرمين الشريفين، الواثق بعناية الملك المبدى المعيد، السلطان عبدالرحمن الرشيد، إلى حضرة الملوك والحكام والسراتي"[٦].

كما لقب نفسه أيضًا **"بخادم المدينتين المقدستين"** في خطابه إلى نابليون بونابرت[٧]، والمقصود والمقصود هنا بالمدينتين المقدستين[٨] هما مكة المكرمة، والمدينة المنورة، **"من سلطان دارفور،**

---

[١] **إسحق:** دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص ص ٤٩-٥٠؛ **والصرة:** هي مصطلح يدل على الهدايا والأموال التي ترسل إلى الحرمين الشريفين من جميع أقطار العالم الإسلامي. وكانت اسمها في بلاد الأناضول في العصر العثماني الصرة الهمايونية، وفي مصر باسم الصرة الشريفة، ولها أقسام مثل: صرة الموقوفات والصرة الرومية، وصرة السنويات وصرة الجوالي، هذا بالإضافة إلى الكسوة والعينيات؛ للمزيد راجع: **فهيم(محمد علي):** وثائق مكة المكرمة من واقع سجلات حساب أصول وخصوم الصرة في الفترة (١٢٣٥-١٢٥٥ هـ/١٨١٩-١٨٣٩م) المودعة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، مجلة كلية الآداب للبنات، فرع أبها، العدد ٤، السنة ٣٩، جامعة الملك خالد، شوال ١٤٣٤هـ، ص ٨٢، حاشية ١، وما بعدها.

[٢] **التونسي:** تشحيذ الأذهان بسيرة العرب والسودان، ص ٤٠٦.

[٣] **السلطان عبدالرحمن الرشيد:** ١٢٠١-١٢١٥هـ/١٧٨٧-١٨١٠م، لقب باليتيم وبالعادل وبالرشيد، وهذا اللقب الأخير أطلقه عليه السلطان العثماني، وتم اختياره سلطانًا بعد وفاة والده، وكان من أشهر سلاطين الفور، وأقام علاقات طيبة مع نابليون بونابرت؛ الأمر الذي ظهر جليًا من خلال المكاتبات الرسمية بينهما؛ **شقير(نعوم):** تاريخ السودان، تحقيق محمد إبراهيم أبوسليم، دار الجيل، بيروت،١٩٨١م، ص ص ١٦٠-١٦٣.

[٤] **عبدالله:** من تاريخ مدينة الفاشر، ص١٧.

[٥] **التونسي:** تشحيذ الأذهان بسيرة العرب والسودان، ص ص٦٨- ٦٩؛ **أبوسليم (محمد إبراهيم):** الفور والأرض وثائق تمليك، ط١، دار الطباعة، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، ١٩٧٥م، ص ٥٣.

[٦] **التونسي:** تشحيذ الأذهان بسيرة العرب والسودان، ص٦٨.

[٧] **فيلز(كريستيان تشير):** نابليون والإسلام من الوثائق العربية والإسلامية، تعريب: زين نجاتي، ط١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ص ١١٨-١١٩.

[٨] وليس كما ذكر أحد الباحثين من أن عبدالرحمن الرشيد يصف نفسه بهذا "مما يعني أنه كان يخدم القدس ومكة"؛ **إسحق:** دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص٥٣.

جوهرة أمراء المسلمين، خليفة رسول الله رب العالمين، مثال العدالة والتقوى، خادم المدينتين المقدستين، عبدالرحمن الرشيد، حماه الله دائما، إلى سلطان الجيوش الفرنسية، ألف تحية وسلام، يشرفنا أن نحطيكم علما بأن كلمة عن انتصاراتكم قد وصلنا، وسررنا بمعرفة نصركم على المماليك، أوروبيا تحول إلى تحول إلى الإسلام أخبرنا بالكيفية التي تحسن بها معاملة الأجانب، وقمنا بإرسال هذا المرسوم إلى القافلة التي يقودها إنصاف الجلابي، المكلف بأن يؤكد لكم صداقتنا التي إن شاء الله سوف تستمر نحن نوصيكم به خيرا، لكى تعطيه حماية خاصة، هو وحاشيته وعبيده، نحن نقدم لكم ألف تحية وسلام، رمز الصداقة"[١].

٢/٢/٣ السلطان محمد حسين بن محمد الفضل٢ ١٢٥٤-١٢٩٠هـ/ ١٨٣٩-١٨٧٤م:

أولى السلطان محمد حسين المحمل الشريف عناية كبيرة؛ فحرص على تأمينه؛ حتى ذاع صيته في دول غرب أفريقيا كحامي لحجاج بيت الله الحرام من غرب أفريقيا إلى الحجاز. وكان أمير المحمل أو قائد المحمل الحاج عثمان إمام مسجد طرة، وصديق السلطان محمد الفضل، وقد ذكر بروفيسور الأمين عثمان أن السلطان محمد حسين قد **"أرسل المحمل لكسوة[٣] البيت العتيق"**[٤].

٣/٢/٣ السلطان إبراهيم قرض بن السلطان محمد الحسين[٥] (١٨٧٤-١٨٧٥م)

أرسل السلطان إبراهيم المحمل من دارفور مُحَمَلًا **"بنفائسها من عاج وريش وجلود فيما عُرف باسم صرة الحرمين الشريفين وكسوة الكعبة[٦]، وعطيات منه للقائمين بأمر الكعبة، ومسجد الحبيبﷺ"**[٧]، **"ولم يغب من ذهن السلطان وصل آل بيت النبي؛ فخص بالعطاء شريف مكة جد الحسين بن طلال عاهل الأردن، فهو حفيد النبيﷺ، والقائم على إمارة الحجاز"**[٨]، وهذه الوثائق والمكاتبات مؤرخة بـ ٤ رجب ١٢٩١هـ/ ١٦ أغسطس ١٨٧٤م؛ ومرسلة من السلطان إبراهيم قرض

---

[١]- **التونسي:** تشحيذ الأذهان بسيرة العرب والسودان، ص ٦٨.

[٢]- **السلطان حسين بن محمد الفضل:** استمر فترة حكمه لمدة ٣٥ عام، اتسمت بالهدوء والإستقرار، وكان معاصرًا للخديوي سعيد والخديوي إسماعيل. وكانت بينهم علاقات ودية؛ فتبادلوا الهدايا؛ فكان يرسل لهم ما اشتهرت به دارفور من العاج والسن وريش النعام، وكانا يرسلان له النفيس من تحف مصرية. وكان السلطان حسين جواد وكريمًا، ومحبًا للرعية، ويُعد أول سلطان فوري سلح جيشه بأكمله بالأسلحة النارية؛ **شقير:** تاريخ السودان، ص ص ١٧٢-١٧٣؛ **آدم(إيدام عبدالرحمن):** تاريخ دارفور منذ عهد السلطنات في العصور الوسطى، شركة السودان للعملة المحدودة، الخرطوم،٢٠٠٨م، ص ٩٢.

[٣]- لتفنيد هذا الرأي الخاص بكسوة السلطان محمد حسين للكعبة المشرفة.

[٤]- **عثمان:** سلطنة الفور الإسلامية، ص ص١٩٢، ١٩٤.

[٥]- **السلطان إبراهيم قرض:** هو بن السلطان محمد الحسن وأحبهم إلى قلبه؛ لذا حرص على توليته السلطنة بعده؛ مع أنه لم يكن أكبر أولاده، وتولى السلطنة بعد وفاة والده عام ١٨٧٤م، وكان عمره حوالي ٤٢ عامًا وقتها، وتولى الحكم سنة وسبعة أشهر وأربعة عشر يومًا، ولكن الظروف لم تكن مواتية له؛ فواجه العديد من الصعاب كان أهمها الزبير باشا حاكم بحر الغزال من قبل الحكومة التركية المصرية الذي تقدم نحو الفاشر، ودارت معركة بين الفريقين في منواشي قُتل فيها السلطان إبراهيم قرض في١٤ رمضان ١٢٩١هـ/٢٥ أكتوبر عام ١٨٧٤م؛ **شقير:** تاريخ السودان، ص٢٧٩؛ **آدم:** تاريخ دارفور منذ عهد السلطنات في العصور الوسطى، ص ٩٢.

[٦]- لتفنيد هذا الرأي الخاص بكسوة السلطان إبراهيم قرض للكعبة المشرفة.

[٧]- **عبدالله:** من تاريخ مدينة الفاشر، ص ١٩.

[٨]- **عثمان:** سلطنة الفور الإسلامية، ص ص ٢٨٥.

إلى خديوي مصر، وكبير أغوات المدينة، بالإضافة إلى قائمة توزيع مبالغ الصرة، وقد أخذت الحكومة المصرية (أو ما يعرف في السودان بالتركية الأولى) هذه الوثائق بعد فتح دارفور، وقَتل السلطان إبراهيم في موقعة منواشي، واحتفظت بها في دار الوثائق القومية بالقلعة محفظة ١٠٤م ملف مجموعة السودان (قسم الوثائق الأفريقية)[١].

والوثيقة الأولى مؤرخة بـ ٤ رجب١٢٩١م/ ١٦ أغسطس ١٨٧٤م **"واصل من أمير دارفور للحضرت الخديوي عشرون سنان من سن الفيل وزنها قنطار عشرة وست اغوات[٢] صحبت الحاج حمزة سر تجار واخيه محمود يصل ان شاء تعالى وربنا يديم الاتصال ثانيا يكون معلوم حضرتكم أدام الله دولتكم ومتعكم فيها قد أرسلنا الحاج ادريس صحبة المذكورين متوجه الحرمين معه صرة لمكت وأغوات لخدمة البيت وصرة لمدينة الرسول ومعها أغوات لخدمت للحرم الشريف يكون معلوم حضرتكم من بعد الوصول يصير توجه الحاج ادريس هناك ادامكم الله تعالى والسلام"**[٣].

والوثيقة الثانية مؤرخة أيضًا بنفس التاريخ ٤ رجب ١٢٩١م/ ١٦ أغسطس ١٨٧٤م، **"من أمير دلوت (٩) فور السلطان إبراهيم المعتصم بالله تعالى آمين الي حضرة المتسلم كبير الأغوات خادم الحرم المدينة المنورة دام الله عزه آمين بعد السلام عليكم فنحن نحمد الله طيبين الذي واصل لكم ألف ريال وباقي الصرة يصير تفريقهه على يد الحاج ادريس بموجب القائمة التي تحت يده والسلام"**[٤].

والجدول التالي به توزيع المستحقات المالية حسب القائمة التي كانت صحبة الشيخ إدريس[٥].

مكة المكرمة		المدينة	
٣٠٠٠	الشريف عبدالله	١٠٠٠	مستلم كبيرة الأغوات
٢٠٠٠	للأغوات كافة	١٠٠٠	أغوات المفتاح
٥٠٠	للمأمور بتاع زمزم	٥٠٠	أهل البقيع
٥٠٠	بنو اشيب	٢٠٠٠	بقيت اغوات
٢٠٠	امام الحنفي	٥٠٠	المطوفين

---

[١] **إسحق:** دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص ص ٧٢- ٧٣.

[٢] **الأغوات** مفردها آغا، وهو الخصي أو الطواشي، والسيد، والعظيم، والأخ الأكبر، والمكرم، ويقصد بهم الطواشية الذي يجلبون من أماكن مختلفة، وكانوا في البداية من السود، ثم انضم إليهم البيض في خدمة الحرمين، وخدمة حريم السلطان؛ **فهيم:** وثائق مكة المكرمة، ص ٨٣، حاشية ١؛ وكان يطلق عليه في الحجاز آغا، فيقولون أغوات الحرم، أي طواشية المسجد الحرام، فربما أطلق العجم على طواشية المسجد الحرام كلمة آغا لما لهم من سلطة ونفوذ، فأخذها منهم الحجازيون، ويُعد معاوية بن أبي سفيان أول من اتخذ العبيد لخدمة الكعبة، وأول من اتخذ الطواشية يزيد بن معاوية؛ للمزيد راجع: **المكي:** التاريخ القويم لمكة، ج٤، ص ص ٢٦-٤٤؛ ويذكر باسلامة أن الأغوات في عصره أحرار، وليسوا عبيدًا لأحد؛ فقد اعتقوا من قبل أوليائهم، ولهم إدارة خاصة ورئيس منهم، يكون أقدمهم خدمة، ولهم بيت مال خاص بهم، ويتوارثون بعضهم بعضا، ووظيفتهم قاصرة على تنظيف المطاف، وحجر سيدنا إسماعيل، والفرش الحجري المحيط بمدار المطاف الذي عليه مقامات الأئمة، ووضع الشماعد على باب الكعبة، وإضاءة القناديل، ولهم في الترقي للخدمة ترتيبات وقواعد حسب تقاليدهم القديمة؛ للمزيد راجع **باسلامة:** تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها، ص ص ٣٦٣-٣٦٥.

[٣] **عثمان:** سلطنة الفور الإسلامية، ص٣٢٣.

[٤] **عثمان:** سلطنة الفور الإسلامية، ص٣٢٣.

[٥] **إسحق:** دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص ٧٣.

٤٠٠	للمطوفين	٥٠٠	مأمور المدينة
٥٠٠	للعاجزين	٤٠٠	الأغوات سلف السلطان حسين
٤٠٠	أغوات السلطان حسين	٤٠٠	الأغوات الواصلين عدد ٢
٤٠٠	دخول الأغوات الاثنين (المواصلين)	٥٠٠	شيخ الدلائل
وما زاد على ذلك بصرف للمستحقين هنالك وكل من أخذ حقه يضع ختمه بالواصل		٥٠٠	طلبة العلم والمدارس
		٤٠٠	أهل الطريقة
		٢٠٠	للبوابين
		٢٠٠	محافظين مسجد قبا وسيدنا حمزة
		٥٠٠	عدد عاجزين هناك
		٥٠٠	للمؤذنين
		٧٠٠	الإمام الراتب
		وما زاد على ذلك يصرف للمستحقين هناك وكل من يعطي حقه ويعطي رخصة بذلك.	

وتوضح هذه الوثائق والمكاتبات عدة أمور مهمة، وهي:

١- حرص السلطان إبراهيم قرض على إقامة علاقات طيبة بين سلطنة الفور في عهده، وبين مصر في عهد الخديوي إسماعيل، مما جعله يرسل له الهدايا مع محمل الحج.

٢- تحديد السلطان إبراهيم قيمة المبالغ الإجمالية المرسلة كهدية منه لمكة والمدينة؛ والتي قُدرت بعشرين ألف ريال، كما حدد حصة كل مدينة من هذه المبالغ.

٣- حرص السلطان إبراهيم على إرسال صرة للحرم المكي، وصرة وأغوات للحرم المدني.

٣- تأكيد السلطان إبراهيم في الخطاب الموجة لكبير أغوات المدينة على أن نائبه الحاج إدريس هو من سيتولى توزيع المبالغ المقررة كهدية منه لأهل المدينة، ووفق قائمة مرسلة معه من السلطان إبراهيم.

٤/٢/٣ السلطان علي دينار[١] (١٨٩٨-١٩١٦م):

بعد توجه الأمير (في حينه) علي دينار إلى دارفور بعد هزيمة المهدية في موقعة كرري في ٢سبتمبر عام ١٨٩٨م، تمكن من القضاء على منافسيه، وتثبيت نفسه بقوة على عرش الفور[٢]، بعد

---

[١] **السلطان علي دينار:** علي دينار بن زكريا بن محمد الفضل بن عبد الرحمن الرشيد، وهو آخر وأشهر السلاطين الذين حكموا دافور١٨٩٨-١٩١٦م، يعتبر واحدًا من الشخصيات الوطنية المهمة والفعالة في تاريخ السودان الحديث، ولد السلطان علي دينار حسب الروايات التاريخية ما بين الأعوام ١٨٦٥–١٨٧٠م بقرية الشاوية تحت سفح جبل طاور، والتابعة لمحلية الملم غرب مدينة نيالا بدارفور بولاية جنوب دارفور، اشترك مع ابن عمه السلطان أبو الخيرات في ثورة أبو جميزة، ونودي به سلطانًا على الفور بعد مقتل أبوالخيرات، ولم يتجاوز عمره عشرين عامًا، ودخل الفاشر عام ١٨٩١م، وزار أم درمان صحبة القائد المهدوي محمود ود أحمد، وعاد إلى الفاشر مرة أخرى، ولكن الخليفة عبدالله استدعاه لأم درمان عام ١٨٩٥م، وظل هناك حتى عاد إلى دارفور بعد هزيمة المهدية في معركة كرري عام ١٨٩٨م، وتمكن من هزيمة منافسيه، وتثبيت نفسه بقوة على عرش الفور، وحاول مهادنة الحكومة الإنجليزية في السودان حتى ظهرت بوادر الحرب العالمية الأولى، وانحاز إلى الخلافة العثمانية؛ مما كان سببًا في توتر العلاقات بينه وبين حكومة السودان، وانتهى الأمر بتجريد حملة على دارفور انتهت بهزيمة قواده في معركة برنجية في ٢٢ مايو ١٩١٦م، ثم قتله٦ نوفمبر عام ١٩١٦م؛ للمزيد راجع: **شبيكه (مكي):** السودان، دار الجيل، بيروت،١٩٩١م، ص ص٥٠٩-٥٢٠؛ **عثمان:** سلطنة الفور الإسلامية، ص ص ٢٢٣-٢٣٠؛ **شبيكه:** السودان، ص ص٥٠٩-٥٢٠.

[٢] **آدم:** تاريخ دارفور منذ عهد السلطنات في العصور الوسطى، ص ٩٤.

هزيمة إبراهيم علي[١] الذي كان مواليًا لكتشنر سردار الجيش المصري، وحاكم عموم السودان[٢] في ذلك الوقت؛ لذا خشى الأمير علي دينار(السلطان لاحقًا) من غضب كتشنر عليه، فراسله في ١٩ إبريل ١٨٩٩م/ ٩ ذو الحجة ١٣١٦م، وبرر موقفه من محاربة إبراهيم علي وأكد على ولائه للحكومة في السودان، وطلب منه الاعتراف به سلطانًا على دارفور[٣]، وقد فسر المحللون هذا التصرف من الأمير (في ذلك الوقت) علي دينار بأنه ليس اعترافًا بالتبعية وموالاة الإنجليز؛ وإنما كانت كياسة منه، وتفكير إستيراتيجي، وقدرة على إدارة المواقف آنذاك، والتعامل مع المحتل حتى يتمكن من كسب ثقتهم، والإعتراف به سلطانًا على دارفور[٤].

وقد أكد ذلك استغلال الأمير علي دينار بحنكته الساسية المنشور الذي أصدره ونجت باشا حاكم عام السودان٢٨ شوال ١٣١٧هـ/٢٨ فبراير ١٩٠٠م، ومن بعض ماجاء فيه **"وقد بدأت بتشييد مساجدكم، وإقامة شعائر دينكم المقدس، وتسهيل طريق الحج إلى بيت الله الحرام، بعد أن حال بينكم وبينه أولئك الطغاة العصاة[٥] الذين إستأصل الله شافتهم"**[٦]؛ فأرسل الأمير علي دينار خطاب إلى وينجت باشا بخطاب٢٩ رمضان ١٣١٨هـ/٢٠ يناير١٩٠١م؛ وطلب منه البت في ثلاث قضايا وهي: رسم حدود سلطنة دارفور، ومساعدته الجيش الحكومي ماديًا، والسماح له بإرسال المحمل الشريف إلى الحجاز كعادة أسلافه[٧] **"بعناية الوفاء إذا كانت المدة الماضية السابقة زمن المتقدمين آباؤنا سلاطين دارفور لهم عوائد وشروط وحدود معلومة وهدايا تقدم لوالي مصر، ومحمل يرسل لبيت الله الحرام"**[٨].

---

[١] **إبراهيم على من أبناء دارفور**: توجه مع الأمير محمود ود أحمد لقتال الجيش الإنجليزي المصري عند المتمة، وبعد هزيمة قوات المهدية في معركة النخيلة، قابل إبراهيم علي قائد الجيش الإنجليزي كتشنر، واتفق معه أنه سوف يكفيه أمر دارفور، وأنه سوف يضمها لحكومة السودان إذا ما مده بالعون اللازم؛ **أرباب(أحمد عبدالقادر):** تاريخ دارفور عبر العصور، ط١، الخرطوم، ١٩٩٨م، ص ص ٢٧٤- ٢٧٧.

[٢] **حاكم عموم السودان**: هي وظيفة أقرتها المادة الثالثة في اتفاق الحكم الثنائي عام ١٨٩٩م، والتي تنص على أن **"تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية في السودان إلى موظف واحد يُلقب حاكم عموم السودان، ويكون تعيينه بأمر عال خديوي بناء على طلب حكومة جلالة الملكة، ولا يفصل من وظيفته إلا بأمر عال خديوي يصدر برضاء الحكومة البريطانية"**. وكان أول من عُين في هذه الوظيفة اللورد كتشنر سردار الجيش المصري، بأمر عال من الخديوي عباس حلمي الثاني في ٧رمضان ١٣١٦هـ١٩ يناير ١٨٩٩م، وبعد عدة شهور استعفي من المنصب، وعُين بدلا منه السير ريجلند وينجت باشا بأمر عال من الخديوي عباس حلمي الثاني في ٢٠ شعبان ١٣١٧هـ/٢٣ ديسمبر ١٨٩٩م، والذي استمر في هذه المنصب حتى عام ١٩١٦م؛ **القدال (محمد سعيد):** تاريخ السودان الحديث١٨٢٠-١٩٥٥م، ط ٢، مركز عبدالكريم الميرغني، الخرطوم،٢٠٠٢م، ص ص ٣٢٦-٣٣٢؛ **حسين:** السودان من التاريخ القديم، ص ص ٦٠-٦١، ١٤٤-١٤٥.

[٣] **أرباب:** تاريخ دارفور عبر العصور، ص ص ٢٧٦-٢٧٧.

[٤] **عبدالباري(يوسف أحمد):** تعقيب على الذكر ٧٨ لإستشهاد السلطان علي دينار، مقال بكتاب تاريخ دارفور عبر العصور، ص ٢٦٢.

[٥] **يقصد بهم المهدية**، لأن المحمل توقف طوال فترة الدولة المهدية؛ **إسحق(إبراهيم محمد):** دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص٥٥.

[٦] للمزيد عن هذا المنشور راجع: **حسين(عبدالله):** السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م، ص٩٩- ١٠١.

[٧] **عبدالله:** من تاريخ مدينة الفاشر، ص ٣٢.

[٨] **عثمان(سيد أحمد علي):** السلطان الشهيد علي دينار بين الحجاز وليبيا وتركيا، ط١، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٢٣٦.

وجاء رد وينجت باشا في ١٣محرم ١٣١٩هـ/١مايو ١٩٠١م؛ أقر فيه تعيين السلطان علي دينار حاكمًا عامًا على دارفور، شريطة أن يلتزم بقرارات الحكومة وسيادتها، وأن يدفع جزية سنوية تقدر ١٠٠ كيس سنويًا، وبالنسبة للمحمل فالطريق مفتوح لبيت الله الحرام، وإرسلوا ما تريدون عن طريق السودان، **"استلمت خطابك بتاريخ ٣٠ رمضان الذي تؤيدون فيه ولائكم وطاعتكم للحكومة وعن اهتمامك في توطيد الأمن والراحة بين الاهالي وبناء عليه اعتمدنا تعينكم حاكماً عاماً على دارفور من قبل الحكومة طالما أنكم خاضعين لأوامرنا وممتثلين لأحكامها، وعن رغبتكم في فرض كمية من المال المقرر تعينون بها الحكومة العسكرية فالحكومة ليست بحاجة الى المال ولكن علامات للطاعة فرضنا عليكم مبلغ ١٠٠ كيس وهي تعادل (خمسمائة جنيه) سنويًا، أما عن كسوة المحمل الشريف فالطرق مفتوحة أمامكم لبيت الله الحرام وعليكم ارسال ماتريدون ارساله عن طريق السودان"**[١].

وتدل المخاطبات الرسمية التي أرسلها السلطان علي دينار إلى حاكم عام السودان، أو إلى مفتش عموم السودان[٢]، والمحفوظة في دار الوثائق القومية بالخرطوم على أن السلطان سَيَّرَ عدة محامل للأراضي الحجازية، وكانت تبدأ في التحرك من قصر السلطان علي دينار في حضور أمير الحاج وفقيه الصلوات الأربع، والحجاج الوافدين من ربوع دارفور في جو مهيب[٣]، وكان المحمل الواحد يستغرق وقت طويل في رحلة الذهاب والإياب، الأمر الذي سيتم إيضاحه عند ذكر هذه المحامل والتواريخ المتعلقة بها من واقع خطابات السلطان علي دينار.

١/٤/٢/٣ المحمل الأول ٦ رجب ١٣٢١هـ/٢٧ سبتمبر١٩٠٣م:

كان أولها ١٣٢١هـ/١٩٠٣م، وكان على رأسه "صالح علي"، وقد طلب السلطان علي دينار من حاكم عموم السودان أن ييسر لهم سفره، كما يدل خطاب السلطان على خط سير المحمل الذي يتوجه من دارفور إلى الخرطوم، ثم أم درمان، ثم بربر، ثم سواكن، ومنها إلى جدة؛ وينص الخطاب **"أعلم مكارمكم أفندم أنني قد وجهت الأفكار بإرسال الوقف للحرمين الشريفين، وتجهز الآن قادماً لأرض الحجاز صحبة المُعَين من ملوكنا المكرم صالح علي، ومن معه من الرجال قادماً فغاية الأمل حال وصوله أمدمان لم يتأخر غير راحة يوم أو يومين، فحالا تقوموا بواجبات سفره بكافة من معه، وتحررت لها لرواح لمديرين محطة بربر، لغاية سواكن بسرعة قدومهم وشمول نظر سعادتكم**

---

[١]- **إسحق:** دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص٥٨.

[٢]- **مفتش عموم السودان:** أنشئ هذا المنصب خصيصًا من أجل سلاطين باشا عام ١٩٠٠م، وانتهى بإستقالته عام ١٩١٤م بعد خوض بلده النمسا الحرب العالمية الأولى في الحلف المعادي لبريطانيا. وأرادت الحكومة البريطانية أن تستفيد من خبرات سلاطين باشا الواسعة عن السودان، وكانت مهامه معممة؛ مما كان سببًا في إطلاق يده في التدخل في نواحي وشئون عدة؛ **القدال:** تاريخ السودان الحديث، ص ٣٣٢.

[٣]- **عبد الله:** من تاريخ مدينة الفاشر، ص ٣٥.

نحوهم (...) وبعد عودتهم يفادونا بهم، وهما على أثر جوابكم يأتونا، كما أملي في سعادتكم رجاي في علو همتكم أدام الله بقاكم)"[1].

وقد طلب السلطان علي دينار من الحكومة ترحيل من برفقة المحمل على نفقة الحكومة **" أفندم أن جماعتنا القادمين جميعهم صحبة محملنا أملنا ان يرحلوهم على جانب المدير إكراما لذلك كما المأمول ولا ياخذون منهم اجرة في ذهابهم وإيابهم كما كما المعهود في معاليكم"**[2].

وأرسل السلطان علي دينار إلى الأراضي المقدسة ألفي ريال مجيدي[3]؛ ألف منها يوزع في مكة، وألف آخر يوزع في المدينة[4].

و أرسل السلطان علي دينار خطاب (لوحة ٢) إلى سردار(قائد) الجيش المصري وحاكم عموم السودان وينجت باشا؛ والمؤرخ بـ٢٧ جمادى الآخر ١٣٢٢هـ/٧ سبتمبر١٩٠٤م يشكره فيه على تسهيل إجراءات سفر المحمل، وفي نهاية الخطاب يذكر له أن الصرة قد نهبت.

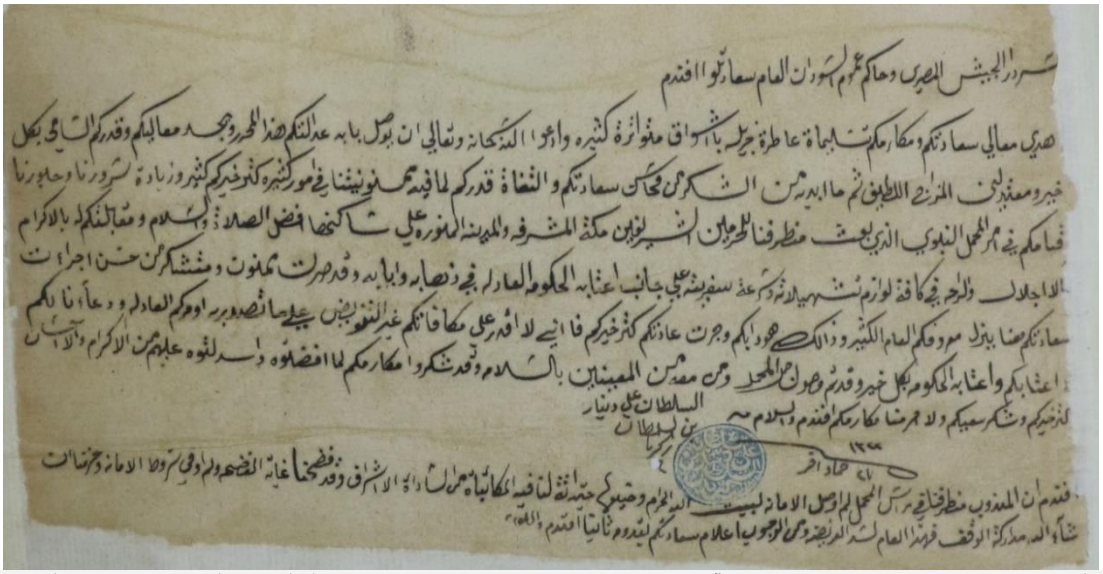

(لوحة ٢) خطاب مؤرخ بـ٢٧ جمادى الآخر١٣٢٢هـ/٧ سبتمبر١٩٠٤م يشكر فيه السلطان علي دينار سردار الجيش المصري وحاكم عام السودان على تسهيل إجراءات سفر المحمل، وفي نهاية الخطاب يذكر له أن الصرة قد نهبت، محفوظ في دار الوثائق السودانية بالخرطوم Intel، وهو اختصارلكلمة Intelligence وتعني مخابرات.

ويتضح من هذا الخطاب عدة أمور مهمة هي:

---

[1] - **عبدالله:** من تاريخ مدينة الفاشر، ص٣٢.

[2] - **علي بحر الدين علي دينار:** السلطان علي دينار والمحمل الشريف حول أفضال السودان على البيضان، مقال بمجلة سودانيز الإليكترونية بتاريخ ٦/٦/ ٢٠٠٦م.
https://sudaneseonline.com/cgi-in/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=60&msg=1149557779&rn=1

[3] - **الريال المجيدي**، عملة عثمانية نسبة إلى السلطان العثماني عبدالمجيد خان بن السلطان محمود الثاني، عرفت منذ القرن الـ ١٣هـ/ ١٩م، وكان يُسك من الفضة؛ **الصاوي (أحمد):** النقود المتداولة في مصر العثمانية، ط١، مركز الحضارة العربي، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٠٢.

[4] - **عثمان (سيد أحمد علي):** السلطان الشهيد علي دينار، ص ٢٣٨.

١- تجديد السلطان ولائه للحكومة كرد لهذا الجميل بقوله **"فا إني لا أقدر على مكافاتكم غير التفويض على ما تصدر به أوامركم ودعاءنا لكم ولا أعتاب الحكومة بكل خير"**.

٢- أن المحمل قد عاد إلى دافور سالمًا **" وقد تم وصول جمل المحمل ومن معه من المعنيين بالسلامة، وقد شكروا مكارمكم لما افضلتموه واسدلتموه عليهم من الإكرام والإحسان"**.

٣- سرقة صرة المحمل في الطريق قبل أن تصل لمبتغاها، وهو ما عبر عنه السلطان في ذيل خطابه بما يفيد أن المندوب من طرفه في رئاسة المحمل قد ضيع الأمانة، وقد أرسل الأشراف مكاتبات للسلطان علي دينار بذلك، وهو ما جعله في موقف حرج عبر عنه بقوله **"وقد فضحنا غاية** الفضيحة**"**.

٤- إخبار السلطان لحاكم عموم السودان بأن مندوبه سيعود في نفس العام؛ لسد الفريضة، **"**وعرضنا **إن شاء الله مداركة الوقف فهذا العام لسد الفريضة ومن الوجوب اعلام سيادتكم بقدومه ثانيا أفندم والسلام"**.

٥- إطلاق السلطان علي دينار على والده الأمير زكريا لقب سلطان رغم أنه لم يتول السلطنة مطلقًا، وهذا الأمر تكرر في توقيع جميع خطابات السلطان المنشورة في هذه الدراسة.

وبدراسة هذا الخطاب المرسل من السلطان علي دينار إلى حاكم عام السودان نستطيع تصحيح معلومة مهمة أَلِفَ عدد من الكتاب ذكرها وتكرارها في كتاباتهم وهي أن هذه الخطاب خاص بالمحمل الثاني الذي يعتقدون أنه كان في عام ١٩٠٤م، وهذا الأمر غير صحيح؛ فبعد مراجعة التاريخ الوراد في هذا الخطاب وهو٢٧ جمادى الآخر ١٣٢٢هـ/٧ سبتمبر١٩٠٤م؛ يعني أنه كتب قبل موسم الحج لعام ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م بخمسة أشهر؛ مما يدل على أن هذا الخطاب خاص بالمحمل الأول الذي بدأ في٦ رجب ١٣٢١هـ/٢٧ سبتمبر١٩٠٣م، ووصل الأراضي المقدسة وأدى فريضة الحج ١٧-٢٦ فبراير١٩٠٤م؛ وبذلك يكون المحمل الأول الذي خرج في عام ١٣٢١هـ/ أواخر ١٩٠٣، وعاد إلى دارفور في ١٣٢٢/ ١٩٠٤م. وهذا يعني أن المحمل يستغرق ما يقارب العام، ويمتد في عامين هجريين وميلادين؛ وبالتالي فهذا الخطاب يعود للمحمل الأول المؤرخ بـ١٣٢١هـ/١٩٠٣م.

وقد واسى السردار السلطان علي دينار في سرقة الصرة بقوله **" لقد أسفت بأن الأمانة التى ارسلتوها مع المحمل لم تصل مكة المكرمة"**[١]، وكان لما حدث لهذا المحمل سببًا في تعلل سلاطين باشا مفتش عموم السودان للسلطان علي دينار بعدم تسيير المحمل كل عام**" ان الحكومة لن تدخر وسعا في منح المساعدة للمحمل الشريف وسوف لن نتأخر على هذا حرصا منها على احترام الدين والشعائر الاسلامية وانا متأسف لعدم وصول هديتكم المرسلة لبيت الله الحرام وطالما ان الطريق**

[١]- **علي بحر الدين علي دينار:** السلطان علي دينار والمحمل الشريف حول أفضال السودان على البيضان، مقال بمجلة سودانيز الإليكترونية بتاريخ ٦/٦/ ٢٠٠٦م.
https://sudaneseonline.com/cgi-in/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=60&msg=1149557779&rn=1

بعيد وفيه صعوبات فأرى انه لايوجد موجب لارسال هذا المحمل كل سنتين او ثلاثة لان الثواب ليس بكثرة التردد والمواصلة بل بحسن النية "[1].

وتحتفظ دار الوثائق السودانية بصورة هي الوحيدة التي نُشرت للمحمل الدارفوري، طُبِعَ أسفلها باللغة الإنجليزية

"THE DARFUR MAHMAL PASSING THROUGH OMDURMAN, 1904"

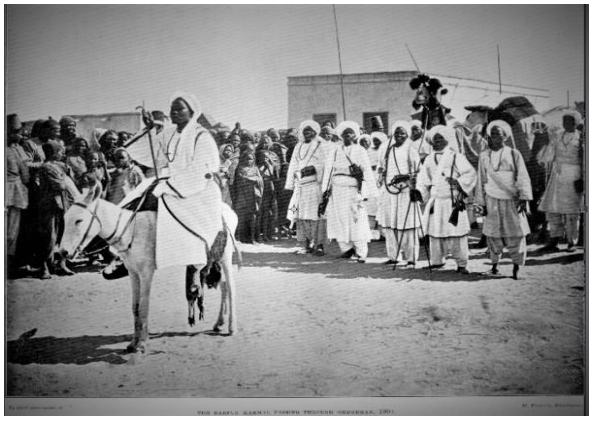

(لوحة ٣) محمل الحج الدارفوري أثناء مروره في مدينة أم درمان عام ١٩٠٤م عائدًا من الحجاز، عن دار الوثائق السودانية.

(لوحة ٣)، ومع ذلك فيوجد نسخة أخرى لنفس الصورة، ولكنه كتب أسفلها بخط اليد بالمداد باللغة العربية **" المحمل في أم درمان قادم من دارفور في طريقه للسعودية"**، وهذا التعليق غير دقيق؛ فهذه الصورة لمحمل الحج الدرافوري عام ١٩٠٤م، وهذا يعني أن هذه الصورة التقطت للمحمل الأول في طريق عودته لدارفور مارًا بالمدينة المذكورة.

(لوحة ٤) محمد الشيخ السيماوي أمير محمل الحج السلطان علي دينار.
https://m.facebook.com/photo.php
٢٠٢١/٩/٢٥م

وبناءًا عليه فإنه يمكن تصحيح ماورد في بعض الكتب والدراسات عن أمير الحج الذي يتقدم الركب **" ويظهر في المقدمة الشيخ السيماوي"**[2]؛ وهذا الأمر غير دقيق فمحمد الشيخ السيماوي قاد عدة محامل كان أولها ١٨ شعبان ١٣٢٤هـ/ ٦ أكتوبر ١٩٠٦م؛ وهذا يعني أن قائد أو أمير المحمل الموجود في هذه الصورة هو صالح علي، وليس محمد الشيخ السيماوي كما هو متداول. وما يؤكد ذلك أن هيئة وملامح محمد الشيخ سيماوي (لوحة٤) مختلفة عن هيئة قائد المحمل في(لوحة٣).

---

[1] **دينار(علي بحر الدين علي):** السلطان علي دينار والمحمل الشريف حول أفضال السودان على البيضان، مقال بمجلة سودانيز الإليكترونية بتاريخ ٦/٦/ ٢٠٠٦م.
https://sudaneseonline.com/cgi-in/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=60&msg=1149557779&rn=1

[2] **عبدالله:** من تاريخ مدينة الفاشر، ص٣٣.

كما يمكن تصحيح ما كتب على ظهر نفس الصورة (لوحة٣) المحفوظة بدار الوثائق السودانية بخط اليد باللغة العربية بالمداد الأحمر **"كسوة الكعبة المشرفة" المحمل "قادما من دارفور في طريقه إلى الأراضي المقدسة أمدرمان ١٩٠١م"**.

(لوحة ٥) أحد محامل الحج. عن إسحق: دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص ٤٢.

ومن الأمور التي يمكن تصحيحها والمرتبطة أيضًا بمحمل الحج الدارفوري ماذكره أحد الباحثين من أن (لوحة٥)، لـ **"محمل سلطنة الفور ١٩٠٥م الذي أرسله السلطان علي دينار لدى وصوله الحجاز"**[١]، ويمكن تفنيد ما ذكره الباحث من خلال عدة نقاط هي:

١- أن السلطان علي دينار لم يُرسل محمل إلى الأراضي المقدسة عام ١٩٠٥م.

٢- أن هيئة المحمل في هذه الصورة هيئة مصرية، ووردت في صور لا حصر لها خاصة بالمحمل المصري منها (لوحة٦).

٣- اختلاف هيئة المحمل الدارفوري ٢٠٢١/ المحمل المصري؛ وهو ما يؤكده الباحث نفسه عندما ذكر أن الخديوي عباس حلمي الثاني عندما كان يحج في عام ١٩٠٩م، وقابل أمير المحمل الدارفوري محمد الشيخ السيماوي، وبعد استعراض المحمل المصري والشامي والدارفوري ذكر الخديوي أنه سيهدي سلطان دارفور محمل كالمحامل المصرية٢، وهذا يؤكد أن المحمل في (لوحة ٤) لم يكن للمحمل الدارفوري.

(لوحة ٦) أحد المحامل المصرية أمام المدرسة المحمودية بميدان الرميلة. https://www.google.com/imgres ٢٠٢١/٤/٢٧

(لوحة٧) أحد عساكر الشرطة أمام المتحف المصري عام ١٩٠٥م.عن https://www.facebook.com/ZamanLifePage/photos/a.332365647353474/917304785526221 تاريخ الدخول ٢٠٢١/١١/١٥م

[١]- **إسحق:** دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص ٤٢.
[٢]- **إسحق:** دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص ص ٦٠ -٦١.

٤- أن أزياء الجنود المصاحبين للمحمل في الصورة تختلف جملةً وتفصيلًا عن أزياء الجنود المصاحبين للمحمل الدارفوري في الصورة الوحيدة التي التقطت له عام ١٩٠٤م (لوحة ٣).

٥- أن زي العساكر في (لوحة٥) كان معروف في مصر، ووثق ذلك بصور لعساكر يرتدينه[١]، ومنها صورة في عام ١٩٠٥م(لوحة٧)، وهو نفس تاريخ الصورة المشار إليها.

٢/٤/٢/٣ المحمل الثاني: ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م[٢] :

كان بقيادة محمد الشيخ سيماوي[٣]، يرافقه بعض القضاة وأولاد السلطان. فقد حرر السلطان علي دينار خطاب مؤرخ ١٨ شعبان ١٣٢٤هـ/٦ أكتوبر١٩٠٦م، موجه لسردار الجيش المصري، وحاكم السودان العام وينجت باشا يعلمه فيه برغبته في إرسال محمل الحج هذا العام، ويطلب منه أن يحرر لمدير سواكن أن يركبهم الوابور حتى جدة ولا يؤخرهم.

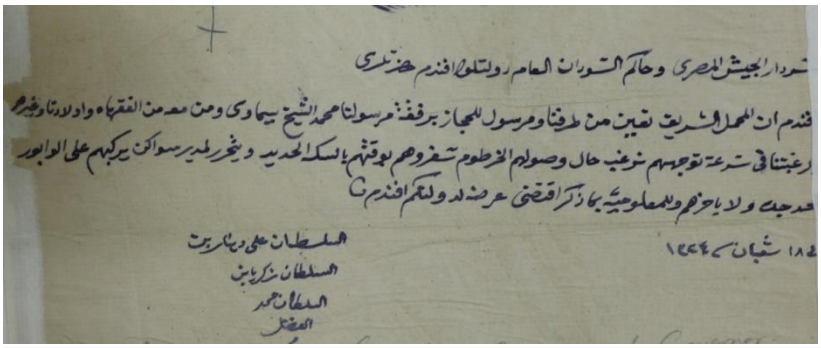

(لوحة ٨) خطاب مؤرخ ١٨ شعبان ١٣٢٤هـ/٦ أكتوبر١٩٠٦م موجه من السلطان علي دينار لسردار الجيش المصري وحاكم السودان العام يعلمه برغبته في تسيير المحمل هذا العام، محفوظ في دار الوثائق السودانية بالخرطوم.

ونستقرأ من هذا الخطاب (لوحة ٨) المرسل من السلطان علي دينار إلى وينجت باشا:

١. قوة مركز السلطان علي دينار التي ظهرت من عبارات الخطاب، وكأنه يُملى أو يأمر سردار الجيش المصري.

٢. العلاقات الجيدة بين الطرفين في هذه الفترة.

٣. تزعزع ثقة السلطان في أمير المحمل الأول صالح علي.

---

[١] للمزيد راجع: https://www.facebook.com/ZamanLifePage/photos/966197380636961/

[٢] ذكر أحد الباحثين أن تاريخ المحمل ١٩٠٧م؛ **إسحق:** دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص٥٦؛ ولكن ما ذكره غير دقيق إذا ما تم تحويل التاريخ الهجري لما يقابله بالميلادي.

[٣] **محمد الشيخ السيماوي:** ولد الحاج محمد الشيخ السيماوي في مدينة بارا عام ١٢٨١هـ/١٨٦٥م، ووالده الشيخ السيماوي بن عيساوي بن ازيرق الدنقلاوي الدولابي. ويتضح من اسمه أن أصوله من دنقلا. وهاجر إلى جبال الحرازة بكردفان. وتزوج السلطان عبدالرحمن الرشيد بأخته. وصار مع السلطان حتى دخل الفاشر. وأقطعه قطعة أرض، وبالنسبة لمحمد الشيخ السيماوي فتعلم مبادئ الفقه والقرآن الكريم في بارا. وكان من ضمن المشاركين في معركة كرري ١٨٩٨م. وجرح بها جروح بليغة، وبعد تعافيه غادر إلى فداسي واستقر بها، إلا أن السلطان علي دينار استدعاه إلى الفاشر؛ **إسحق:** دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص ص٥٥ -٥٦؛ وقد ألقي القبض عليه بعد مقتل السلطان علي دينار وسجن في سجن حلفا ثم تم نقله لسجن طره بمصر، ثم أعيد مرة أخرى لسجن حلفا؛ **دينار (علي بحر الدين علي):** السلطان علي دينار والمحمل الشريف حول أفضال السودان على البيضان، مقال بمجلة سودانيز الإليكترونية بتاريخ ٦/٦/ ٢٠٠٦م.
https://sudaneseonline.com/cgi-in/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=60&msg=1149557779&rn=1

كما تحتفظ دار الوثائق القومية بالسودان بخطاب آخر مؤرخ بنفس تاريخ الخطاب السابق ١٨ شعبان ١٣٢٤هـ/٦ أكتوبر١٩٠٦م (لوحة ٩) يذكر فيه السلطان علي دينار لمفتش السودان العام سلاطين باشا مشتملات المحمل من هدايا للحرمين(صرة الحرمين) التي كانت عبارة عن١١ قنطار ونصف سن فيل، و١٧ مربوع ريش نعام، ٣٠ رطل ريش نعام أسود، و٣٤ رطل ريش ربدة، وطلب منه إعطاء تصريح لأولاد السلطان المرافقين للمحمل بعدم تعرض أحد لمشتملات الصرة.

كما ذيل خطابه بطلب من سلاطين باشا بإخبار صاحب الدخولية[١] بعدم أخذ عوايد[٢] أو ضرائب على أثمان مشتملات المحمل لو بيعت في أم درمان إذا وجدوا الأثمان جيدة، وإن لم تكن كذلك وقرروا بيعها في الحجاز فيعطيهم تصريح بعدم التعرض لهذه الهدايا أو مشتملات المحمل.

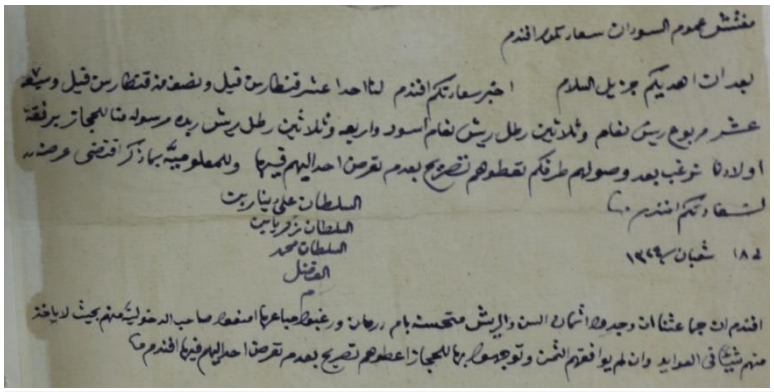

(لوحة ٩) خطاب مؤرخ ١٨ شعبان ١٣٢٤هـ/٦ أكتوبر ١٩٠٦م موجه من السلطان علي لمفتش عموم السودان يعلمه بما يحمله المحمل من هدايا(صرة الحرمين)، محفوظ في دار الوثائق السودانية بالخرطوم.

ونستقرأ هذا الخطاب ما يلي:

١- أن كسوة الكعبة لم تكن من ضمن مشتملات المحمل.

٢- قوة مركز السلطان علي دينار فكأنه يأمر مفتش عموم السودان من عدم تطبيق الدخولية على أثمان السن والريش، بما عبر عنه بقوله"امنعوا".

٣- دفع ضرائب على أثمان المبيعات؛ كما البضائع.

وقد رد مفتش عموم السودان على خطاب السلطان الأول بخطاب تحرر في١٧ شوال ١٣٢٤هـ/٣ ديسمبر١٩٠٦م؛ ونص على: **"المكرم: أخبركم ان رسولكم محمد الشيخ سيماوي أمير المحمل ومن معه من الخلفاء والمشايخ قد وصل وقابل سعادة افندم السردار والحاكم العام وشاهد المحمل وكامل المعدات التي أرسلتموها، بخصوص الترحيل فالسكة حديد لها إدارة خاصة بذاتها، سيتم ترحيل الشيخ سيماوي ورجالكم على طرف الحكومة إلى سواكن ويرحلوا الحجاج الآخرين بنصف الأجرة، أما السعر من سواكن إلي جدة فالوابورات هنالك ملكاً للتجار ولشركات أجنبية، وأجرتها زهيدة للغاية، سلاطين"**

---

[١]- **الدخولية**، هي ضريبة كانت تفرض على المحاصيل والمواشي والبضاع التجارية التي تنقل من بلد لآخر منذ العصر العثماني، وألغاها سعيد باشا تخفيفًا على الفلاح؛ **نجم (زين العابدين شمس الدين):** معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢٣٥.

[٢]- **عوايد**، نصت المادة السابعة من اتفاقية الحكم الثنائي عام ١٨٩٩م بما نصه**" يجوز أن تقرر عوائد على البضائع التي تخرج من السودان بحسب ما يقدره الحاكم العام من وقت لآخر بالمنشورات التي يصدرها في هذا الشأن"؛ حسين:** السودان القديم، ص ٦٢.

وبدارسة هذه الخطاب يتضح:

١- عدم قبوا الحكومة ترحيل جميع الحجاج على خطوط السكة الحديد على نفقتها.

٢- اعتذار الحكومة عن تحمل تكاليف نقل الحجاج بحرًا من سواكن لجدة.

كما رد مفتش عموم السودان على الخطاب الثاني للسلطان علي دينار بأنه أعطى أوامره للحكومة ببيع سن الفيل وريش النعام في مزاد عمومي، وهو ما أكده خطاب الشكر الذي أرسله السلطان في ١٦ ذو القعدة ١٣٢٤هـ/٣١ ديسمبر ١٩٠٦م (لوحة ١٠)، لمفتش عموم السودان سلاطين باشا، ردًا على خطاب الأخير للسلطان؛ والذي تحرر في ١٧ شوال ٣/١٣٢٤ ديسمبر ١٩٠٦م.

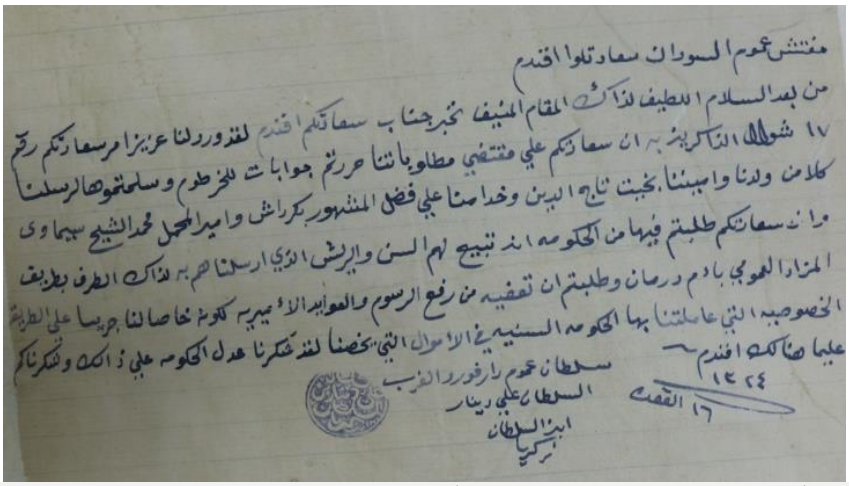

(لوحة ١٠) خطاب مؤرخ بـ١٦ ذو القعدة ١٣٢٤هـ/٣١ ديسمبر ١٩٠٦م، محفوظ بدار الوثائق السودانية، يشكر فيه سلاطين باشا على طلبه من الحكومة في الخرطوم بيع مشتملات الصرة في المزاد العام، وإعفائها من الضرائب.

وبدراسة هذا الخطاب يتبين حرص الحكومة السودانية في الخرطوم على إرضاء السلطان علي دينار، وذلك بـ:

١- تنفيذ طلبه بإعفاء أثمان المبيعات من الضرائب.

٢- جرت عادة الحكومة إعفاء الأموال الخاصة بالسلطان من الضرائب.

ونستقرأ من هذا أن الحكومة في الخرطوم كانت تكافئ السلطان علي دينار على ولائه[١] لها، وأخذت هذه المكافآت صور عدة نَخُصُ منها ما ورد في الخطابات الخاصة بالمحامل فقط: تيسير إجراءات سفر المحامل، ودفع أجرة سفر أتباع السلطان عند سفرهم للحج على خطوط السكة الحديد السودانية، ودفع نصف قمن أجرة باقي الحجاج؛ بل وحرص الحاكم العام أو المفتش العام على إرسال خطابات رسمية للسلطان علي دينار تطمنه على وصول المحمل للخرطوم، وعلى الإجراءات التي تتخذها الحكومة حِيال هذا الأمر وإعفاء أثمان المبيعات من صرة الحرمين من الضرائب.

[١]- يحتفظ متحف الخليفة عبدالله بالفاشر بنحاس أو نقارة (طبلة حرب) مهداة من حاكم السودان العام وينجت باشا للأمير علي دينار(في حينه) عام ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩عليها أبيات شعرية نصها: **"هذا النحاس يعزز الثقة التي - أحسنت فيها يا علي قياما - واقرعه وارفع في البلاد ولائنا - وأجر السلام وأيد الحكاما"**، وتُعد هذه الأبيات بمثابة الشروط التي وضعتها الحكومة في السودان للأمير علي دينار قبل اعترافها به سلطانًا على دارفور، واعتمدت عليها كأساس للعلاقات بين الطرفين؛ فإن ولائه للحكومة يجعلها تثق به؛ ومِنْ ثَمَّ تُحقن الدماء، ويَعُم السلام. للمزيد راجع **إسماعيل(أسماء محمد):** تحف مهداة للسلطان علي دينار دراسة أثارية فنية، مجلة البحوث والدراسات الأثرية- جامعة المنيا عدد مارس، ٢٠٢٠م، ص ص١٦-١٩.

وكان يصحب هذا المحمل قوة عسكرية مكونة من ٣٠٠ جندي مسلحين ببنادق من طراز مارتيني هنري، ويحملون رماحًا محلاة بريش النعام في كعبها، ويلبسون الجُبَب التي تنوعت ألوانها ما بين أسود وأحمر وأصفر وأخضر، وبلغت الهدايا المرسلة معه للحرمين١٨ ألف ريال مجيدي، كما أرسل معه أربع أغوات؛ اثنين لخدمة الحرم المكي، واثنين لخدمة الحرم المدني، ولما وصل المحمل الخرطوم، سلم وينجت باشا حاكم عام السودان أمير المحمل محمد الشيخ سيماوي ما يفيد سفر المحمل على سكة حديد السودان مجانًا ذهابًا وإيابًا[١].

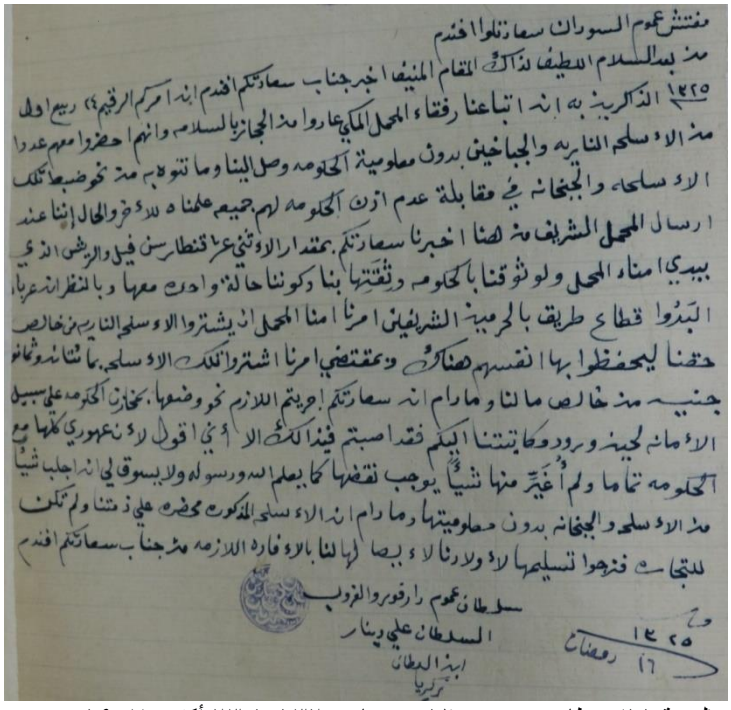

(لوحة ١١) خطاب مؤرخ بـ ١٦ رمضان ١٣٢٥هـ/ ٢٣ أكتوبر١٩٠٧م من السلطان علي دينار لسلاطين باشا بأمر الأسلحة التي اشتراها أمناء المحمل الثاني. محفوظ بدار الوثائق السودانية.

وتحتفظ دار الوثائق السودانية بخطاب خاص بهذا المحمل بعد عودته من الأراضي الحجازية في ٢٤ ربيع أول ١٣٢٥هـ/٦ مايو ١٩٠٧م، حسب الخطاب التالي المؤرخ بـ ١٦ رمضان ١٣٢٥هـ/ ٢٣ أكتوبر ١٩٠٧م(لوحة ١١) (بعد وصول المحمل إلى الفاشر)؛ ففي هذا الخطاب يبرر السلطان علي دينار لسلاطين باشا مفتش عام السودان سبب إحضار أمناء المحمل لأسلحة وجبخانة بدون إخطار الحكومة؛ وقال أنه طلب منهم شراء أسلحة[٢] لتأمين صرة المحمل **من "عربان البدو قطاع الطرق بالحرمين الشريفين"** وبالنظر لتاريخ هذا الخطاب يتأكد وجهة النظر التي طرحتها الباحثة من قبل من أن المحمل يستغرق ما يقارب العام، ويمتد في عامين هجريين وميلاديين.

---

[١]- **إسحق:** دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص ص ٥٦-٥٧.

[٢]- ربما قصد السلطان علي دينار بذلك تزويده بما يحتاج من أسلحة عن طريق الشراء، وبحجة حماية وتأمين المحمل؛ خاصة وأن الحكومة في الخرطوم كانت تضيق عليه الخناق في مسألة شراء الأسلحة، وكانت لا تسمح له إلا بالقليل مما يطلبه؛ للمزيد عن هذا الأمر راجع: **إسماعيل (أسماء محمد):** أسلحة السلطان علي دينار التقليدية بمتحف الفاشر دراسة آثارية فنية، مجلة البحوث والدراسات الأثرية- جامعة المنيا عدد مارس عام ٢٠٢٠م، ويؤيد وجهة النظر هذه أن المحمل كان يحرسه ٣٠٠ جندي مسلحين ببنادق.

وبدراسة هذا الخطاب المرسل من السلطان علي دينار إلى مفتش عموم السودان سلاطين باشا يتبين الآتي:

١- حرص الحكومة على عدم تمكين السلطان علي دينار من شراء أسلحة حديثة.

٢- تأكيد السلطان علي دينار على ولائه للحكومة.

٣- ذكر السلطان ثمن الأسلحة التي اشتراها أمناء المحمل، ولم يكن هناك داع في الخطاب؛ إلا أنه كان يهدف من وراء ذلك هدف ما، أفصح عنه في خطاب آخر مؤرخ بنفس التاريخ.

كما تحتوي دار الوثائق السودانية على خطاب آخر بنفس التاريخ ١٦ رمضان ١٣٢٥هـ/ ٢٣ أكتوبر١٩٠٧م (لوحة ١٢) أرسله السلطان لسلاطين باشا يتعلق أيضًا بأمر الأسلحة التي اشتراها أمناء المحمل من الحجاز. وَرَغِبَ السلطان في هذا الخطاب تأكيد وإيضاح عدة أمور لمفتش عموم السودان سلاطين باشا هي:

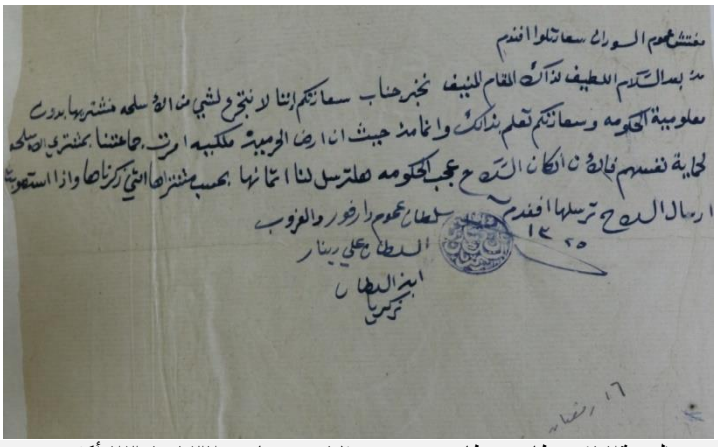

(لوحة١٢) خطاب خطاب مؤرخ بـ ١٦ رمضان ١٣٢٥هـ/ ٢٣ أكتوبر ١٩٠٧م من السلطان علي دينار لسلاطين باشا خاص بالأسلحة التي اشتراها أمناء المحمل الثاني، واحتجزتها الحكومة في الخرطوم. محفوظ بدار الوثائق السودانية.

١- تأكيد عدم جرأته على شراء أسلحة بدون علم الحكومة.

٢- إيضاح سبب شراء الأسلحة.

٣- عرض إمكانية التنازل عن الأسلحة مقابل دفع الحكومة أثمانها كخيار أول، أو إرسالها للسلطان كخيار ثاني.

٣/٤/٢/٣ أما المحمل الثالث فكان عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م

وكان تحت إمرة محمد الشيخ سيماوي أيضًا، وقد خاطب السلطان علي دينار مفتش عموم السودان في ١٦ رمضان١٣٢٧هـ/ ٣٠ سبتمبر ١٩٠٩م (لوحة ١٣)، يعلمه بأن محمل الحج قد جُهز، وطلبه منه تعديته بوجه السرعة- فالمحمل تأخر في خروجه شهرين عن المحمل الأول، وشهر عن المحمل الثاني- وذكر له أن الحجاج المرافقين للمحمل سوف يدفعون أجرتهم في الوابور، أما أتباع السلطان من أمير المحمل محمد شيخ السيماوي ورفاقه فسوف يرسل السلطان علي دينار الأجرة التي يقدرها المفتش كمواشي تباع في كردفان وتسلم الأجرة المقررة لمدير كردفان، وأن السلطان كان يرغب في إرسال المواشي صحبة المحمل، ولكنه لم يفعل لضيق الوقت.

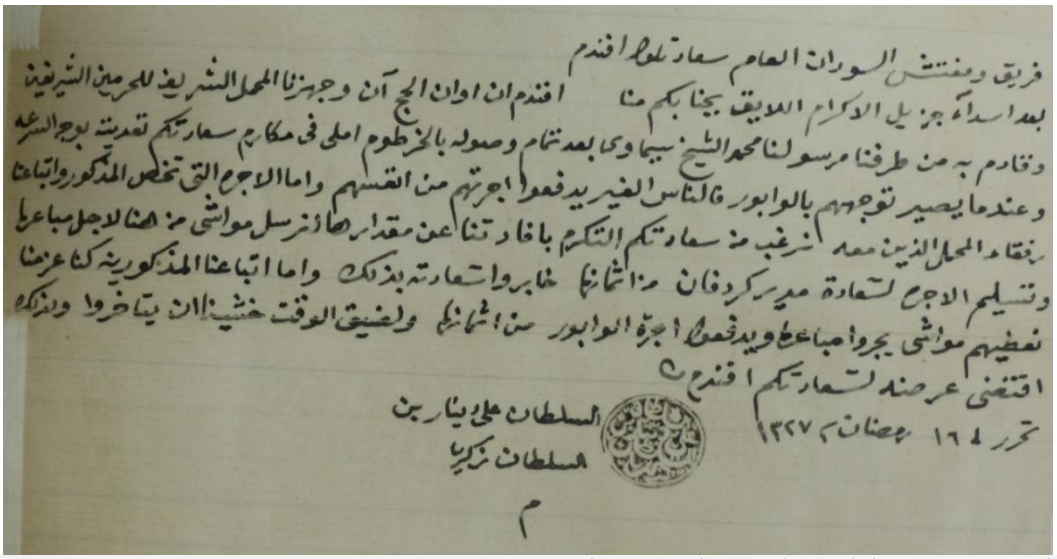

(لوحة ١٣) خطاب السلطان علي دينار لمفتش عام السودان مؤرخ بـ١٦ رمضان١٣٢٧هـ/ ٣٠ سبتمبر١٩٠٩م، خاص بأجرة ركوب أتباع السلطان، والمرافقين للمحمل للوابور. محفوظ في دار الوثائق السودانية بالخرطوم.

ونستقرأ من هذا الخطاب الآتي:

١- ثقة السلطان بمحمد الشيخ السيماوي فأقره أميرًا للحج للمرة الثانية.

٢- إيقان السلطان بأن للحكومة سلطة نافذة على وسائل النقل البحري بين سواكن وجدة؛ رغم نفي سلاطين باشا هذا من قبل.

وكان الخديوي عباس حلمي الثاني يؤدي فريضة الحج في هذا العام، وفي أثناء استعراض المحمل المصري والشامي بمنى لاحظ جناب الخديوي **"لاحت منه التفاتة فرأى عسكر على بن دينار (سلطان دارفور) مع رئيسهم الذي أتى بمحملهم، وراء صفوف الناس من بُعد، فأرسل فأستحضر ريسهم، وبعد أن لاطفه وحياه بما يليق بكرمه، أمر حفظه الله بان يسير بجنده في هذا الإستعراض، فسار يتقدم رجاله الذين كانوا يحركون حرابهم على نغمة الموسيقى بحماسة كانهم يتحركون الى حرب أوطعان"**[١]، كما وصف البتنوني حجاج الفور بقوله**" وعلى طول القافلة ترى كثيرا من حجاج الفور(التكرور) مشاة باطفالهم، وكثيراً ما ترى الأم حاملة طفلها في شبه كيس ملتصق بظهرها بحيث لا يظهر منه غير رأسه، وعلى رؤوسهم بعض أمتعتهم، وفي أيديهم صفيحة أشبه بالكشكول يضعون فيها غذاءهم. واذا كانت لهم حاجة الى السؤال سألوا ركاب القوافل بلطف وأدب، وما رأيتهم يطلبون غير الماء لانه يصعب عليهم حمله، وخصوصاً في مدة الصيف الذي تجف فيه القرب وتنشف الركايا"**[٢].

---

[١]- **البتنوني(محمد لبيب(ت١٣٥٧هـ)):** الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي الثاني خديو مصر، ط١، مطبعة الجمالية بمصر،١٣٢٩هـ، ص ص ٢٠٣.

[٢]- **البتنوني(محمد لبيب):** الرحلة الحجازية، ص ٢١٦؛ **والركايا مفردها ركية**، وهي تعني الآبار، وقد ذكر ياقوت الحموي أنها موضع بعينه بنجد وبه مياه لبني نصر بن معاوية وقيل الركايا جمع ركية مياه لبني دهمان؛ **ياقوت الحموي(شهاب الدين أبي عبدالله):** معجم البلدان، ج ٣ ، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص ٣٦.

٤/٤/٢/٣ أما المحمل الرابع والأخير فكان في ١٣٣١هـ/١٩١٣م.

كان أمير المحمل محمد الشيخ السيماوي، وطلب السلطان في خطابه المؤرخ بـ ١٥ شوال١٣٣١هـ/١٥ سبتمبر١٩١٣م (لوحة ١٣) لسردار الجيش المصري وينجت باشا سرعة تيسيير المحمل كما هو المعهود من الحكومة، ويؤكد ما كتبه السلطان في هذا الخطاب أن المحمل لم يُرسل سنويًا للحجاز، **"إن محملنا الله ورسوله مضت لنا فيه ارساله عدة اعوام ولم ارسلناه"**.

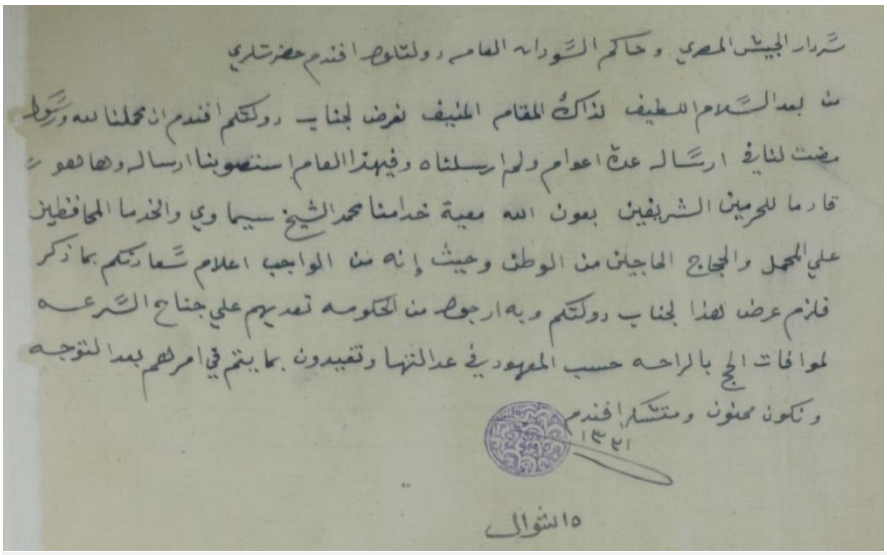

(لوحة ١٣) خطاب السلطان علي دينار لسردار الجيش المصري وحاكم عام السودان مؤرخ بتاريخ ١٥ شوال ١٣٣١هـ/١٥ سبتمبر ١٩١٣م، يُعلمه برغبته في تسيير محمل الحج. محفوظ بدار الوثائق السودانية بالخرطوم.

ويتضح من الخطاب السابق ما يلي:

١- إقرارمحمد الشيخ السيماوي أميرًا للمحمل للمرة الثالثة.

٢- طلب السلطان من سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام وينجت باشا موفاته بما يتم من أمر في سفر المحمل.

٣- تأخر تاريخ سفر المحمل عن كل المحامل السابقة، فالمحمل الأول كان في ٦رجب، وتاريخ المحمل الثاني١٨ شعبان، أما المحمل الثالث فكان في١٦ رمضان.

ونستقرأ من هذه الخطاب:

١- تأخر اتخاذ السلطان لقرار تسيير محمل في هذا العام.

٢- توتر العلاقات بين السلطان والحكومة في الخرطوم.

٣- رغبة السلطان في عدم إثارة حفيظة الحكومة ضده، فالشواهد والأحداث تؤكد رغبة الحكومة في تقليص نفوذه، وإضعاف سلطاته؛ فترك الخطاب بلا توقيع. وكان من عادة السلطان توقيع خطاباته السابقة بـ: سلطان عموم دارفور والغروب، السلطان علي دينار ابن السلطان زكريا أو توقع بـ :السلطان علي دينار بن السلطان زكريا.

وبذلك يمكن حصر عدد محامل الحج التي أرسلها السلطان علي دينار للأراضي المقدسة، ومعرفة تواريخ ذهابها وإيابها بالتقريب من واقع المكاتبات الرسمية للسلطان علي دينار، المرسلة لحاكم عام السودان وينجت باشا، ومفتش عموم السودان سلاطين باشا؛ والتي تحصلت عليها الباحثة من دار الوثائق القومية في الخرطوم، ونُشرت في هذه الدراسة كما يلي:

المحمل	تاريخ الذهاب	تاريخ العودة	عدد الخطابات الخاصة بالمحمل	ملاحظات
المحمل الأول	٦ رجب ١٣٢١هـ/ ٢٧ سبتمبر١٩٠٣م	٢٧ جمادى الآخر ١٣٢٢هـ/ ٧ سبتمبر١٩٠٤م	خطاب واحد	١- الطريق المسلوك: الفاشر - الخرطوم - أم درمان – بربر- سواكن- جدة. ٢-أطلق السلطان على المحمل اسم "المحمل النبوي" ٣-تكلفت الحكومة أجرة سفره ذهابًا وإيابًا. ٤-أمير المحمل "صالح علي" ٥-سرقة صرة المحمل، وعودة مندوب المحمل مرة ثانية للحجاز لسداد دين الوقف.
المحمل الثاني	١٨ شعبان ١٣٢٤هـ/ ٦ أكتوبر١٩٠٦م	١٦ رمضان ١٣٢٥هـ/ ٢٣ أكتوبر١٩٠٧م	٥ خطابات	١- الطريق المسلوك: الفاشر - الخرطوم - أم درمان – بربر- سواكن- جدة. ٢-ذكر مشتملات صرة الحرمين. ٣-إطلاق السلطان على المحمل اسم "المحمل المكي"، و"المحمل الشريف" ٤-أمير المحمل "محمد الشيخ سيماوي". ٥- رغبة السلطان في إعفاء أثمان مبيعات الصرة من الضرائب المقررة عليها. ٦- غضب الحكومة في الخرطوم بسبب شراء أمناء المحمل لأسلحة دون علمها.
المحمل الثالث	١٦ رمضان١٣٢٧هـ/ ٣٠ سبتمبر ١٩٠٩م،	-------	خطاب واحد	١- الطريق المسلوك: الفاشر - الخرطوم - أم درمان – بربر- سواكن- جدة. ٢-تأخُر تاريخ خروج المحمل من الفاشر عن تاريخ المحملين السابقين. ٣-أمير المحمل "محمد الشيخ سيماوي" ٤-عرض السلطان إرسال أجرة سفر أتباعه على الوابور لمدير كردفان، بعد سفر المحمل، لضيق الوقت.
المحمل الرابع	١٥ شوال ١٣٣١هـ/ ١٥ سبتمبر ١٩١٣م	--------	خطاب واحد	١- الطريق المسلوك: الفاشر - الخرطوم - أم درمان – بربر- سواكن- جدة. ٢-إطلاق السلطان على المحمل اسم" محملنا الله وسوله". ٣-أمير المحمل "محمد الشيخ سيماوي" ٤- تأخر موعد خروج المحمل عن باقي المحامل السابقة. ٥- عودة المحمل بعد توقف إرساله عدة سنوات.

وبعد هذا العرض للخدمات التي قدمها سلاطين الممالك الإسلامية في دارفور للأراضي المقدسة، يمكن تفنيد بعض ما يقال ويتوارد بين بعض الباحثين والكتاب مثل:

١- كسوة بعض سلاطين الفور للكعبة المشرفة، ومن هؤلاء السلطان محمد الفضل، والسلطان إبراهيم قرض، والسلطان علي دينار.

٢- تشييد السلطان علي دينار مصنعًا لصناعة كسوة الكعبة؛ استمر يعمل على مدار عشرون عامًا بعد امتناع مصر عن صناعتها وإرسالها للحجاز.

٣- تسيير السلطان علي دينار محامل سنوية.

٤- تسمية آبار علي بالميقات نسبة إلى السلطان علي دينار الذي حج عام ١٨٩٨م.

أما بالنسبة للنقطة الأولى، فبعيدًا عما يُمكن قوله من أن صناعة الكسوة تحتاج إلى خبرة، وموروث فني راسخ في صناعتها لا يمكن توفرها في دارفور، وكذلك المواد الخام، فمكاتبات السلطان إبراهيم قرض، والسلطان علي دينار المنوطة بأمر المحمل لم تشر من قريب أو بعيد إلى كسوة الكعبة، وأنها من ضمن مشتملاته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما أكده المؤرخون أن الكسوة كانت في غالب الأحيان تُصنع في مصر؛ منذ بداية العصر الإسلامي -لخبرة مصر وشهرتها في صناعة المنسوجات-، وقبل سيادتها على الحجاز. وبعد فرض المماليك سيطرتهم على الحجاز صنُعت الكسوة في مصر، وأرسلت ضمن مشتملات محملها. وقد أوضحت الدراسة من خلال ما ورد في الكتب التاريخية أسماء من شَرُفَ بإرسال الكسوة إلى الكعبة المشرفة من غير الدول صاحبة السيادة على الحرمين، ولم يكن منها سلاطين الفور.

كما أن الفترة التي قضاها السلطان علي دينار حاكمًا لدارفور لم تصل إلى عشرين عامًا، وكيف كانت ترسل الكسوة إلى الكعبة طيلة هذه السنوات العشرون، ومحمل الحج الدافوري لم يغادر الإقليم متجهًا إلى الأراضي الحجازية إلا أربع مرات فقط في السنوات السابق ذكرها في فترة حكم السلطان علي دينار على الإقليم، والتي امتدت من عام ١٨٩٩-١٩١٦م.

أما بالنسبة لما يتداول حول تشييد السلطان علي دينار مصنعًا لصناعة كسوة الكعبة بعد امتناع مصر عن صناعتها وإرسالها للحجاز، فهي أمر يمكن حسمه من خلال ماورد في ثنايا الكتب عن السنوات التي لم ترسل فيها مصر الكسوة، وهل هذه السنوات متوافقة مع سنوات حكم السلطان علي دينار، وسلاطين الفور الذين قيل أنهم أرسلوا الكسوة للكعبة أم لا؟ وكيف تغلب حكام الحجاز على هذه المشكلة ؟ وفيما يلي حصر بالسنوات التي لم تُكسى فيها الكعبة بالكسوة المرسلة من مصر وهي:

١. في أعوام ١٢١٣-١٢١٥هـ/ ١٧٩٨م -١٨٠١م؛ فعلى الرغم من تجهيز المحمل والصرة هذا العام إلا أن انضمام مصطفى بك كتخدا أمير الحاج إلى الثائرين ضد الفرنسيين[١]، وعلى الرغم أيضًا من تعيين أمير آخر للمحمل إلا أنه لم يسافر هذا العام إلى الحرمين الشريفين[٢].

وفي العام التالي١٢١٤هـ/١٧٩٩م لم يخرج محمل الحج ولا الكسوة من مصر متوجهين للحرمين. أما عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠١م، فرغم أنه في رمضان من هذه العام فُحصت الكسوة التي كانت صنعت عام ١٢١٣هـ، وكانت محفوظة في المسجد الحسيني، وربما حدث بها بعض التلف بسبب الرطوبة، ورغم إصلاحها إلا أنه لم ترسل إلى الكعبة، ولم ترسل مصر محمل هذا العام أيضًا[٣].

٢. عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م امتنعت مصر عن إرسال الكسوة بسبب استدعاء الإمام سعود الكبير أمير المحمل المصري، وسأله **"ما هذه العويدات والطبول التي معكم، وكان يقصد بالعويدات المحمل، فقال هو إشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عاداتهم، فقال لا تأت بذلك بعد هذا العام وإن أتيت به أحرقته"**[٤]، فلم ترسل مصر المحمل[٥] والكسوة حتى عام ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م، وفي هذه الفترة كان الإمام سعود الكبير يكسو الكعبة؛ ففي عام ١٢٢١هـ/١٨٠٧م، كساها من القز الأحمر، ثم كساها فيما تلاها من أعوام بالديباج الأسود والقيلان الأسود، وجعل إزار الكسوة، وستارة باب الكعبة من الحرير الطبيعي الأحمر المطرز بالذهب والفضة. وبعدما سيطرت قوات محمد علي باشا على الحجاز، وعادت السيطرة العثمانية عليها عام ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م عادت الكسوة من مصر كما كانت من قبل[٦].

٣. في آخر ذو القعدة عام ١٣٤١هـ/ يوليو١٩٢٣م وقع الخلاف بين الحكومة المصرية والشريف حسين بسبب رفض الشريف إدخال البعثة الطبية المرافقة للمحمل المصري، فرجع المحمل بكل مشتملاته بما في ذلك كسوة الكعبة من ميناء جدة[٧]. وقد تغلب الشريف حسين على هذا المأزق بأن طلب من أمير المدينة سرعة إرسال الكسوة التركية المودعة لديه[٨]، والتي أرسلتها الدولة العثمانية عام ١٣٣٣هـ/١٩٠٥م[٩].

---

[١] **الجبرتي(عبدالرحمن(١٢٣٧هـ)):** عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج ٣، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ص٩١-٩٣، ١٠٢.

[٢] **المادح(أميرة بنت علي):** اهتمام العثمانيين بكسوة الكعبة الشريفة وتطورها في العصر الحديث ٩٢٣هـ-١٣٤٦هـ/١٥١٧م-١٩٢٧م، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها، ج١٧، ع ٣٥، ذي القعدة ١٤٢٦هـ، ص ١٥٩.

[٣] **الجبرتي:** عجائب الآثار، ج ٣، ص ص ٢٣٥-٢٣٨؛ **المادح:** اهتمام العثمانيين بكسوة الكعبة الشريفة، ص ص ١٥٩-١٦٠.

[٤] **الجبرتي:** عجائب الآثار في التراجم والأخبار،ج ٧، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٨٢.

[٥] أرسل الإمام سعود الكبير إلى السلطان سليم الأول يبلغه باستيائه من المحمل الذي يصاحب الكسوة إلى مكة، واعتبره أمرًا خارجًا عن الدين، وطلب منه منع والي مصر ووالي الشام من إرسال المحمل وما يتبعها من بدع؛ **مؤذن:** كسوة الكعبة، ص ص ١٩٦-١٩٧

[٦] **أحمد:** المحمل والحج، ص ٢٦٠؛ **مؤذن:** كسوة الكعبة، ص ص١٩٧-١٩٨؛ **عبدربه:** كسوة الكعبة المشرفة، ص٦٧.

[٧] **السباعي:** تاريخ مكة، ص ٦٩٥.

[٨] **باسلامة: :** تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها ص ٢٩٠.

[٩] **عبدربه:** كسوة الكعبة المشرفة، ص ١٧٣.

٤. في عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤ امتنعت مصر عن إرسال الكسوة بعد قيام الحرب بين الشريف حسين، وبين الملك عبدالعزيز، والتي استولى فيها الملك عبدالعزيز على مكة، فقام بكسوة الكعبة بالكسوة العراقية القيلانية المحفوظة في مستودع الحرم المكي[١].

٥. عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م امتنعت مصر عن إرسال المحمل، والكسوة بسبب حادثة المحمل المصري في العام السابق[٢] فكساها الملك عبدالعزيز. ولما كان للسياسة دور في كسوة الكعبة فقد قرر الملك عبد العزيز أن تتولى المملكة العربية السعودية كسوة الكعبة؛ فعزم في محرم عام ١٣٤٦هـ/ يونيو١٩٢٧م على تشييد دار لصناعة الكسوة بمكة[٣] عُرفت بدار أجياد، وجلب لها عمال من الهند لعدم توفر من لديهم خبرة في الحياكة في المملكة. واستمرت هذه الدار تعمل حتى عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م. وعادت السعودية واتفقت مع مصر لإرسال الكسوة[٤].

٦. ٦ ذو الحجة ١٣٨١هـ/١٠ مايو ١٩٦٢م وصلت الكسوة (لوحة ١٥، ١٤) على باخرة مصرية إلى ميناء جدة، ولكنها عادت إلى مصر بسبب خلافات سياسية بين البلدين. ونظرًا لضيق الوقت؛ فقد كُلف وزير الحج والأوقاف السعودي حينها بتجهيز كسوة من المحفوظة في مستودع الحرم، وصبغها، ثم كُسيت بها الكعبة في موعدها[٥]، ومنذ ذلك الحين توقفت مصر نهائيًا عن إرسال كسوة الكعبة المشرفة.

---

[١]- صنع هذه الكسوة الشريف حسين في العام السابق (١٣٤٢هـ) تحسبًا لإمتناع مصر عن إرسال الكسوة في هذه السنة أيضًا، ولكن مصر أرسلتها في موعدها، فَحُفِظتْ في مستودع الحرم المكي الشريف؛ **عبدربه:** كسوة الكعبة المشرفة، ص٧٣؛ ولكنه ذكر في موضع آخر أن الشريف حسين بن علي هو الذي كسى الكعبة عام ١٣٤٣هـ بكسوة صنعت في الإحساء؛ **عبدربه:** كسوة الكعبة المشرفة، ص١٤٣.

[٢]- وقعت هذه الأحداث بمنى ٩ ذي الحجة ١٣٤٤هـ/ ٢٤ يونيو ١٩٢٦م، بعدما اعترض النجديون من ضيوف الرحمن على أصوات الأبواق التي كانت مصاحبة للمحمل المصري، وحدثت مشادات بين الطرفين انتهت بإلقاء الحجارة على القوة المصاحبة للمحمل؛ فأمر محمود عزمي باشا بإطلاق النيران لتفريق الجموع، وللرد على المعتدين، وانتهت الأحداث بمقتل ٢٥ شخصًا من الحجاج إلى جانب بعض البعير، ولولا تدخل الملك سعود الذي كانت خيمته بجوار موقع الحدث لأخذت الأمور= =منحى آخر؛ **المادح:** اهتمام العثمانيين بكسوة الكعبة، ص١٦٧؛ وقد تباينت الروايات المصرية والسعودية حول تفاصيل هذه الحادثة، ولكن ما يهمنا هنا امتناع مصر عن إرسال المحمل لعدة سنوات بسبب هذه الحادثة.

[٣]- **عبدربه:** كسوة الكعبة المشرفة، ص ص ١٤١ -١٥١.

[٤]- **أحمد:** المحمل والحج، ج١، ص ٢٦٣.

[٥]- **الموجان (محمد بن حسين):** الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ٢٠٠٦م، ص ٤٩.

(لوحة ١٤) جزء من آخر كسوة صنعتها مصر؛ محفوظ في متحف الحضارة بالفسطاط، تصوير الباحثة.

(لوحة ١٥) آخر (محمل)هودج مصري كان موجه للحجاز محفوظ في متحف الحضارة بالفسطاط، تصوير الباحثة.

و بعد سرد السنوات التي لم ترسل فيها مصر الكسوة إلى الكعبة ومقارنتها بتواريخ حكم سلاطين الفور اللذين ذكر الباحثون، والكتاب أنهم أرسلوا كسوة للكعبة يتبن أن السنوات التي انقطعت فيها مصر عن إرسال الكسوة للكعبة المشرفة غير متوافقة مع فترات حكم كل من السلطان محمد حسين بن محمد الفضل ١٢٥٤-١٢٩٠هـ/ ١٨٣٩-١٨٧٤م، وكذلك السنة التي حكم فيها السلطان إبراهيم قرض ١٨٧٤-١٨٧٥م، وسنوات حكم السلطان علي دينار ١٨٩٩-١٩١٦م.

كما كان إرسال السلطان علي دينار لمحامل حج سنوية إلى الحرمين الشريفين من ضمن ما يتوارد في كتابات الباحثين" **وهكذا استمرت دارفور في خدمتها للحرمين الشريفين في عهد علي دينار آخر سلاطين دارفور سنويًا فكل عام يتم تكليف أمير للمحمل وبعد الرحلة يتم استبداله بأمير آخر سار هذه العادة حتى انتهاء السلطنة** "[١]، والرد على ذلك جاء من واقع المكاتبات الرسمية بين السطان علي دينار وبين سردار الجيش المصري وحاكم عموم السودان وينجت باشا، أو بين السلطان ومفتش عام السودان سلاطين باشا، والتي أكدت أن السلطان سيَّرَ أربعة محامل فقط في فترة سلطنته، وأنه لم يعين أمراء لكل محمل؛ بل كان صالح علي هو أمير المحمل الأول؛ وكان محمد شيخ السيماوي هو أمير المحامل الباقية.

[١]- **إسحق:** دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص٦٠.

٤- إطلاق اسم آبار علي بالميقات نسبة إلى السلطان علي دينار الذي حج عام ١٨٩٨م:

اقترن اسم السلطان علي دينار عند بعض الكتاب والباحثين من الأشقاء العرب عامة والسودانيين خاصة بأبيار، ويمكن تفنيد هذه المقولة في نقطتين: الأولى حفر آبار علي، والثانية حج السلطان علي دينار

٤/١ آبار علي:

من الأقاويل المتداولة أن السلطان علي دينار هو الذي حفر" أبار على" وهي تحمل اسمه **"وقد شاع خطأ أن المقصود هو علي بن أبي طالب"**[١]؛ وذلك لما حج عام ١٨٩٨م، وهناك من يذكر أنه أعاد حفرها وجدد مسجد الحُليفة عندما حج عام ١٨٩٨م. وهذا الرأي يتم الرد عليه بما ذكره ابن تيمية (المتوفى سنة٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م) وقال: في فتواه: **"فذو الحُليفة: هي أبعد المواقيت، بينها وبين مكة عشر مراحل، أو أقل أو أكثر بحسب اختلاف الطرق، فإن منها إلى مكة عدة طرق، وتسمي وادي العَقِيق، ومسجدها يسمي مسجد الشجرة، وفيها بئر، تسميها جهال العامة " بئر علي" ؛ لظنهم أن عليًا قاتل الجن بها، وهو كذب، فإن الجن لم يقاتلهم أحد من الصحابة، وعلي أرفع قدرًا من أن يثبت الجن لقتاله، ولا فضيلة لهذا البئر، ولا مذمة، ولا يستحب أن يرمي بها حجرًا ولا غيره"**[٢]، **وذكر ابن فضل الله العمري الذي حج عام ٧٣٨هـ/١٣٣٨م عند ذكره لمواقيت الحج والعمرة أن ميقات ذو الحُلَيقة به آبار تُعرف بآبار علي، وأن أهل الحجاز: ينسبوها (الآبار) إلى سيدنا علي بن أبي طالب**[٣].

وهذا يؤكد أن تسمية الآبار **"آبار علي"** جاء قبل مولد السلطان علي دينار بعدة قرون.

٤/٢ حج السلطان علي دينار:

يُشاع أن السلطان علي دينار حج في عام١٨٩٨م، ومما يفند هذ الأقاويل أن الأمير علي دينار في هذا الوقت كان من ملازمين (حرس) الخليفة عبدالله في أم درمان. وما يؤكد ذلك ما كتبه السلطان علي دينار بخط يديه في وثيقة مؤرخة بـ٩ رمضان ١٣٣٠هـ/٢١ أغسطس ١٩١٢م، (لوحة١٦) يذكر في بعض أجزائها قصته مع المهدية حيث ذكر **" وسفروني أم درمان بقيت عبدًا مملوكاً، لا أعرف لنفسي نفعاً ولا ضراً الا عبداً تابع ومملوك"**[٤]، فهل العبد المملوك يملك أن يذهب للحج في فترة كانت البلاد في معارك مع الجيوش المصرية الإنجليزية التي دخلت الأراضي السودانية منذ مارس ١٨٩٦م، وانتهت بسقوط الدولة المهدية بعد هزيمة جيوش الخليفة عبدالله التعايشي في معركة كرري ٢ سبتمبر

---

[١]- **إسحق:** دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص ٥٤.

[٢]- **بن تيمية(أحمد):** مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد، جمع وترتيب عبدالرحمن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ٢٠٠٤م، ٢٩، ص ص ٩٩-١٠٠.

[٣]- **العمري:** مسالك الأبصار، ص ١٩٨.

[٤]- **عثمان:** سلطنة الفور الإسلامية، ص ص ٣٣٧-٣٣٨.

عام ١٨٩٨م. وهو ما عبر عنه السلطان في نفس الوثيقة **" ثم سلط الله عليهم الدولة الانجليزية، وشتت الله شمل الخليفة وقومه وفرق الله جمعهم واذاقهم من الذل والنكال اضعاف ماذاقوني... واعادني في مواطن جدودي واباءي بلطفه الخفي"**.

فكيف له أن يغادر أم درمان في فترة كانت الأصعب على الدولة المهدية؛ فالجيوش القادمة من مصر بقيادة كتشنر دخلت أراضي السودان منذ أكثر من سنتين، وحققت إنتصار تلو الآخر على قوات المهدية، وانتهت هذه المعارك بمجزرة في جبال كرري شمال أم درمان حيث انتهى أمر الدولة المهدية في معركة كرري١٦ ربيع آخر١٣١٦هـ الموافق٢ سبتمبر١٨٩٨م. وبعدما تيقن علي دينار من الهزيمة انسحب من المعركة متوجهًا إلى دارفور، وذلك قبل موسم الحج بخمسة شهور، وأراد أن يستعيد عرش أجداده، وخاض من أجل ذلك معارك حتى دان له الإقليم، وبالتالي لم يكن هناك مجال للتوجه لأداء فريضة الحج.

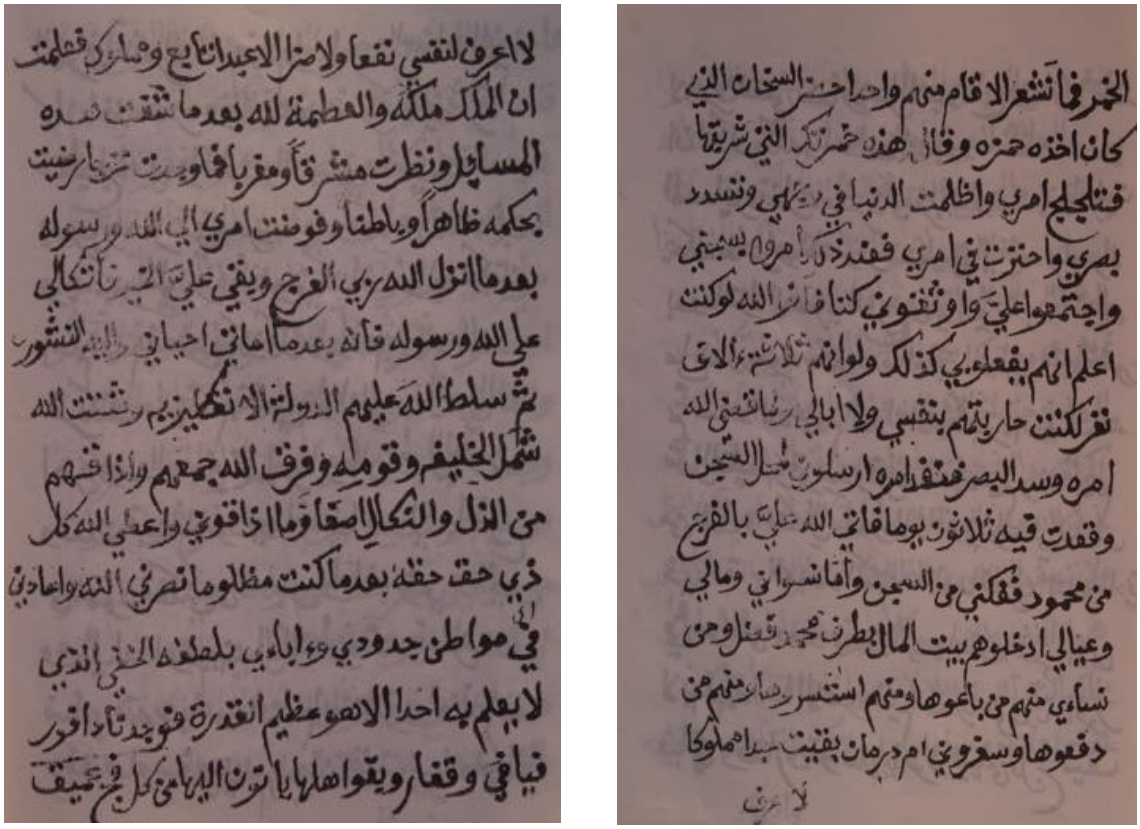

(لوحة١٦) وثيقة بخط يد السلطان علي دينار مؤرخة بتاريخ بـ٩ رمضان ١٣٣٠هـ/٢١ أغسطس١٩١٢م، يذكر بها علاقته مع الدولة المهدية؛ عن **أرباب:** تاريخ دارفور عبر العصور: ص ص ٢٨٩-٢٩٠.

كما أنه لم يثبت تاريخيًا أن السلطان علي دينار أدى فريضة الحج وهو سلطان؛ لأنه وإن كان سيؤدي الفريضة كان من الطبيعي أن يكون مصاحبًا لمحامل الحج التي خرجت من دارفور، وهذا لم يحدث.

كما تحتفظ دار الوثائق السودانية بثلاثة خطابات تُفيد برغبة السلطان لمغادرة دارفور نهائيًا والتوجه إلى الحرمين الشريفين بعدما زهد العيش في دارفور؛ فالخطاب الأول مؤرخ بـ ٢٧ صفر ١٣٣٢هـ الموافق ٢٤ يناير ١٩١٤م (لوحة١٧)، والثاني مؤرخ بـ ١٨ ربيع آخر ١٣٣٢هـ/١٥ مارس ١٩١٤م، والثالث مؤرخ بـ ٢٣ جمادى الأول الموافق ١٨ إبريل ١٩١٤م (لوحة ١٨). يُعلِم فيها السلطان علي دينار مفتش السودان العام سلاطين باشا برغبته في مغادرة دارفور، والتوجه للحرمين الشريفين ليبقى بها إلى نهاية عمره تاركًا دارفور لأهلها، بسبب حروبه المتواصلة مع بعض القبائل، ولولا خوفه من أن تعترض الحكومة طريقه وتقبض عليه في الخرطوم لكان غادر دارفور بنفسه ولم يأخذ شيء معه من عرض الدنيا أو آلة ملكه.

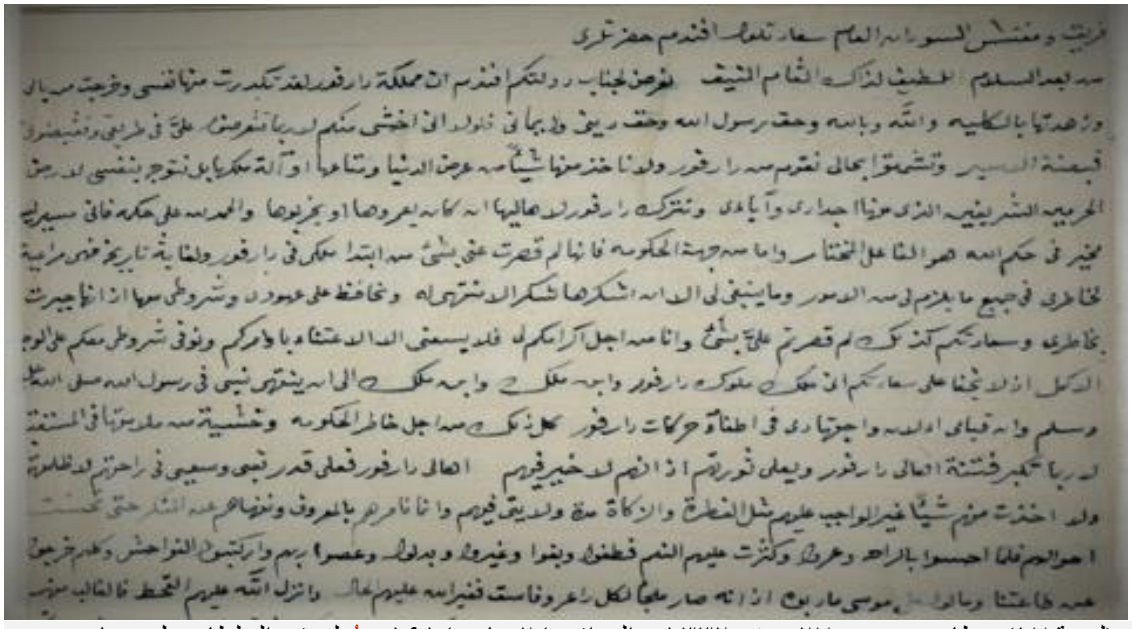

(لوحة ١٧) خطاب مؤرخ بـ ٢٧ صفر ١٣٣٢هـ الموافق ٢٤ يناير ١٩١٤م، يُعلِن فيه السلطان علي دينار عن رغبته مغادرة دارفور والتوجه للحرمين الشريفين، محفوظ بدار الوثائق السودانية.

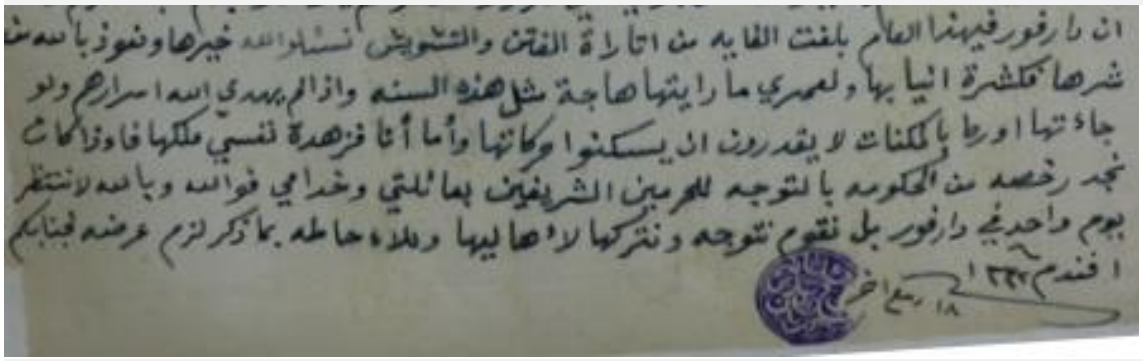

(لوحة ١٨) مؤرخ بـ ١٨ ربيع آخر ١٣٣٢هـ/١٥ مارس ١٩١٤م، يُبلِغ السلطان علي دينار سلاطين باشا برغبته بالتوجه للحرمين الشريفين والإستقرار هناك؛ محفوظ بدار الوثائق السودانية.

وفي خطاب ثالث مؤرخ بـ ٢٣ جمادى الأول الموافق ١٨ إبريل ١٩١٤م، يذكر فيه السلطان علي دينار لسلاطين باشا أسباب زهده في حكم دارفور ورغبته في التوجه للحرمين

الشريفين(لوحة١٩)، وقد أجمل السلطان علي دينار هذه الأسباب في "والخشية من الشماتة والفضيحة وعيشة الذل من بعد العز"

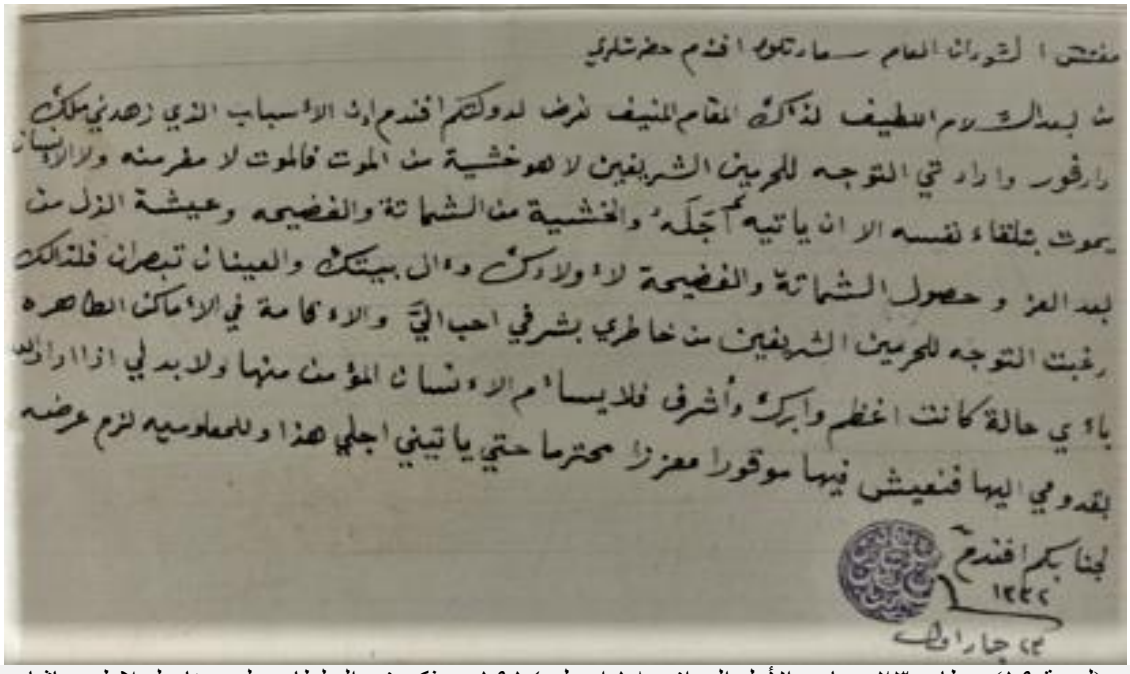

(لوحة ١٩) خطاب ٢٣ جمادى الأول الموافق ١٨ إبريل ١٩١٤م، يذكر فيه السلطان علي دينار لسلاطين باشا أسباب زهده في حكم دارفور ورغبته في التوجه للحرمين الشريفين، محفوظ بدار الوثاق السودانية.

وبعد هذه الخطابات بشهور قليلة اضطربت العلاقات بين السلطان علي دينار، وبين حكومة الحكم الثنائي في الخرطوم بسبب انحياز السلطان للدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى التي بدأت في ١٩١٤م، مما كان سببًا في تجهيز حملة للقضاء عليه، وتم هذا بالفعل في ٢١ محرم ١٣٣٥هـ/ ١١/١٦/ ١٩١٦ حيث قتل السلطان علي دينار(لوحة٢٠)، وبذلك دخل إقليم دارفور تحت إدارة الحكم الثنائي.

وفي نهاية هذه الدراسة تبقى أن نوضح اللبس الخاص بصور السلطان علي دينار؛ الذي لم تنشر له سوى صورة وحيدة بعد مقتله[١] (لوحة ٢١)، أما باقي الصور المتداولة فهي لمشايخ نظارات بعض القبائل السودانية (لوحة ٢٢)؛ وليست للسلطان علي دينار، وهذه الصور موضحة بالجدول التالي:

[١]- تمامًا كما حدث مع الخليفة عبدالله التعايشي، فلم تنشر له سوى صورة جثمانه بعد مقتل في معركة أم الدبيكرات عام ١٨٩٩م. ويرجع ذلك إلى أن استخدام آلات التصوير لم تكن تتوفر في ذلك الوقت لدى الخليفة عبدالله ولا للسلطان علي دينار، فهي كانت مع الإنجليز، وكان أول لقاء يجمع بينهما وبين الإنجليز في المعارك التي دارت بينهم؛ وانتهت بمقتل الخليفة والسلطان؛ لذا لم يُنشر لهما سوى صورهما بعد مقتلهما.

(لوحة٢٠) الصورة الوحيدة التي أخذت للسلطان علي دينار بعد مقتله. عن:
https://www.google.com/urlم٢٠٢١/ ١١/٧

(لوحة٢١) الشيح حمادة أسوسه، شيخ الحوازمه بكردفان١٩٢٣م. عن:
https://www.facebook.com/Old.sudan.photos
٢٠٢١/١١/٧

(لوحة٢٢) الشيخ محمد قدح الدم شيخ قبيلة الفلاته، الفاشر ١٩١٧م. عن:
https://www.facebook.com/Old.sudan.photos?_t/
٢٠٢١/١١/٧

(لوحة ٢٣) الشيخ أحمد عبدالقادر ناظر الكواهلة عام ١٩١١م.عن:
https://www.facebook.com/Old.sudan.photos?_t/
٢٠٢١/١١/٧

الخاتمة:

وأخيرًا وبعد هذا التنقل بين سطور الكتب، وثنايا التاريخ يتبن لنا حرص سلاطين الممالك الإسلامية في دافور على القيام بواجبها اتجاه الأراضي الحجازية، من منطلق الإيمان بقدسيتها، وحرص سلاطينها على تسيير محامل محملة بهدايا وعطاءات للمدينتين المقدستين؛ بالغ البعض في ذكر أن كسوة الكعبة كانت من ضمن هذه الهدايا، وأن السلطان علي دينار شيد مصنعًا لصناعة كسوة الكعبة، وحفر آبار علي أثناء حجه؛ ولكن الدراسة أكدت أن ما ذُكر غير دقيق، وهذا لا يقلل من الدور الذي قام به سلاطين دارفور؛ وخاصة سلاطين مملكة الفور، وأشهرهم السلطان علي دينار الذي حظي بمكانة كبيرة في نفوس السودانيين بسبب حفاظه على استقلال دارفور ما يقارب عقدين من الزمن بعيدًا عن الاحتلال الإنجليزي، الأمر الذي جعله بمثابة بطل قومي لدى السودانيين عامة، والدارفوريين خاصة.

أهم النتائج

١. أكدت الدراسة أن الوازع الديني كان له دور في علاقات إقليم دارفور بالعالم الخارجي.
٢. أوضحت الدراسة اهتمام سلاطين دارفور بالحرمين الشريفين.
٣. أثبتت الدراسة عدم كسوة سلاطين الفور للكعبة المشرفة.
٤. أوضحت الدراسة أن محامل الحج الدارفورية اتجهت للأراضي المقدسة عن طريق مصر أيام السلطان إبراهيم قرض.
٥. صححت الدراسة أعداد محامل الحج التي سيَّرها السلطان علي دينار.
٦. أثبتت الدراسة أن الطريق الذي سلكته محامل الحج الدرافوري في عهد السلطان علي دينار كان عن طريق شرق السودان، وليس طريق درب الأربعين.
٧. أكدت الدراسة عدم وجود صلة بين اقتران اسم آبار علي بالسلطان علي دينار.
٨. أثبتت الدراسة عدم حج السلطان علي دينار في أواخر عصر الدولة المهدية، ولا في أيام سلطنته.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- **البتنوني(محمد لبيب(ت١٣٥٧هـ)):** الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي الثاني خديو مصر، ط١، مطبعة الجمالية بمصر،١٣٢٩هـ.
- **ابن تيمية (أحمد(٧٢٨هـ)):** مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع وترتيب عبدالرحمن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ٢٠٠٤م.
- **ابن منظور:** لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرون، طبعة دار المعارف، القاهرة،١٩٨١م.
- **الجبرتي(عبدالرحمن(١٢٣٧هـ)):** عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج ٣، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.
- **الأزرقي(أبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد):** أخبار مكة وما جاء بها فيها من آثار، تحقيق: رشدي صالح، جزاءان، ط ٣، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣م.
- **الأنصاري(عبدالقادربن محمد(ت ٩٧٧هـ)):** الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق محمد حسن، جزاءن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- **باسلامة(حسين عبدالله(١٣٥٩هـ)):** تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها، ط١، السعودية، ١٤٥٤هـ.
- **التونسي (محمد بن عمر (ت١٢٧٤ هـ)):** تشحيذ الأذهان بسيرة العرب والسودان، تحقيق خليل عساكر، ومصطفى مسعد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م.
- **رفعت(إبراهيم ت ١٩٣٥م):** مرآة الحرمين في الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، جزاءان، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٥م.
- **السباعي(أحمد):** تاريخ مكة دراسة في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، جزاءن، مكة المكرمة، ١٩٩٩م.
- **شقير(نعوم(ت ١٣٤٠هـ)):** تاريخ السودان، تحقيق محمد إبراهيم أبوسليم، دار الجيل، بيروت،١٩٨١م.
- **العسقلاني (أحمد بن حجر):** اللمحة اللطيفة في ذكر أحوال كسوة الكعبة الشريفة، تحقيق محمد على فهيم، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- **العمري(أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فضل الله بن يحيى بن أحمد (ت ٧٤٩هـ)):** مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج١، تحقيق كامل سلمان الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٢٠م.
- **الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد الحسني(ت٨٣٢هـ)):** العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ٨ أجزاء، تحقيق محود حامد الفقي، ط ١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦م.
- **المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي(ت ٨٤٥هـ)):** الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٥م.

- **النهرواني**(محمد بن أحمد بن محمد(ت ٩٩٠)): كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق هشام عبدالعزيز عطا، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، (د.ت).
- **ياقوت الحموي(شهاب الدين أبي عبدالله):** معجم البلدان، ج ٣ ، دار صادر، بيروت، (د.ت).

ثانياً: المراجع العربية

- **أحمد (يوسف):** المحمل والحج، ج١، مطبعة حجازي، القاهرة ١٩٣٧م.
- **إبراهيم(رجب عبدالجواد):** المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ط١، دار الأفاق العربية، القاهرة،٢٠٠٢م.
- **عبدالرحمن (أبوالبشر):**العلاقات التجارية والعالم الخارجي، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، ٢٠١٦م.
- **أبوسليم (محمد إبراهيم):** الفور والأرض وثائق تمليك، ط١، دار الطباعة، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، ١٩٧٥م.
- **آدم(إيدام عبدالرحمن):** تاريخ دارفور منذ عهد السلطنات في العصور الوسطى، شركة السودان للعملة المحدودة، الخرطوم،٢٠٠٨م.
- **أرباب(أحمد عبدالقادر):** تاريخ دارفور عبر العصور، ط١، الخرطوم، ١٩٩٨م.
- **إسحق** (إبراهيم محمد): دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ط٢، اصدارات المركز العالمي للدراسات الأفريقية، اصدارة رقم (١) الخرطوم، ٢٠٠٦م.
- **البحيري (زكي):** مشكلة دارفور أصول الأزمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٠م.
- **حسن(يوسف فضل):** مقدمة في تاريخ الممالك شرق السودان ١٤٥٠- ١٨٢١م، الخرطوم، ٢٠٠٣م.
- **حسين(عبدالله):** السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.
- **حلمي (إبراهيم):** كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج، سلسلة كتاب اليوم، العدد ٣٢٠، مطابع أخبار اليوم، القاهرة،١٩٩١م.
- **الشامي(صلاح):** موانى السودان دراسة في الجغرافية التاريخية، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦١م.
- **شبيكه (مكي):** السودان، دار الجيل، بيروت،١٩٩١م.
- **الصاوي (أحمد):** النقود المتداولة في مصر العثمانية، ط١، مركز الحضارة العربي، القاهرة، ٢٠٠١م
- **عبد الفتاح (عصام):** دارفور وجع في قلب الأمة، ط٢، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٩م.
- **عبدالله (جبريل):** من تاريخ مدينة الفاشر، ط١، الخرطوم، ٢٠١٣م.
- **عثمان (الأمين محمود):** سلطنة الفور الإسلامية دراسة تحليلية ١٤٠٠-١٩١٦م، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، ٢٠١١م.
- **عثمان(سيد أحمد علي):** السلطان الشهيد علي دينار بين الحجاز وليبيا وتركيا، ط١، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨م.

- **علي بحر الدين علي دينار:** السلطان علي دينار والمحمل الشريف حول أفضال السودان على البيضان، ٢٠١٦.
- **فيلز(كريستيان تشير):** نابليون والإسلام من الوثائق العربية والإسلامية، تعريب: زين نجاتي، ط١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- **القدال (محمد سعيد):** تاريخ السودان الحديث١٨٢٠-١٩٥٥م، ط ٢، مركز عبدالكريم الميرغني، الخرطوم، ٢٠٠٢م.
- **قمرالدين(محمد موسى محمود):** صفحات من تاريخ دارفور، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة العربية، الخرطوم، ٢٠٠٥م.
- **المكي (محمد طاهر الكردي):** التاريخ القويم لمكة وبيت الله القويم،٦ أجزاء، ط١، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م.
- **الموجان (محمد بن حسين):** الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ٢٠٠٦م.
- **نجم (زين العابدين شمس الدين):** معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية، القاهرة، ٢٠٠٦م

ثالثاً: الدوريات العلمية:

- **إسماعيل(أسماء محمد):** تحف مهداة للسلطان علي دينار دراسة أثارية فنية، مجلة البحوث والدراسات الأثرية- جامعة المنيا عدد مارس، ٢٠٢٠م.
- **عبدالحميد(ليلى أمين):** المحمل عبرالعصور التاريخية ٩-٩٢٣هـ/٦٣٠-١٥١٧م، مجلة كلية اللغات والترجمة، العدد السابع ،ج ٢ ، يوليو ٢٠١٤م
- **فهيم(محمد علي):** وثائق مكة المكرمة من واقع سجلات حساب أصول وخصوم الصرة في الفترة (١٢٣٥-١٢٥٥ هـ/١٨١٩-١٨٣٩م) المودعة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، مجلة كلية الآداب للبنات، فرع أبها- العدد ٤، السنة ٣٩، جامعة الملك خالد، شوال ١٤٣٤هـ
- **المادح(أميرة بنت علي):** اهتمام العثمانيين بكسوة الكعبة الشريفة وتطورها في العصر الحديث ٩٢٣هـ-١٣٤٦هـ/١٥١٧م-١٩٢٧م، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها، ج١٧، ع ٣٥، ذي القعدة ١٤٢٦هـ.

رابعاً: الرسائل العلمية:

- **مؤذن(عبدالعزيز عبدالرحمن):** كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا الحضارية، كلية الشريعة والدراسات العليا، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٢م.

سادساً: المواقع الإليكترونية:

- https://www.google.com
- https://www.facebook.com
- https://sudaneseonline.com